إهداء للأخ الحبيب
الشيخ ناصر طلحة الشيبي
سادن الكعبة المشرفة
مع تحياتي
سلام
٢٦/٢/١٤٤٤هـ

دراسات فى الكعبة المشرفة

بنو شيبة حجبة الكعبة

دراسة تاريخية لأعمال السدانة ومراسم الشيبيين منذ فجر الإسلام حتى نهاية العصر المملوكى

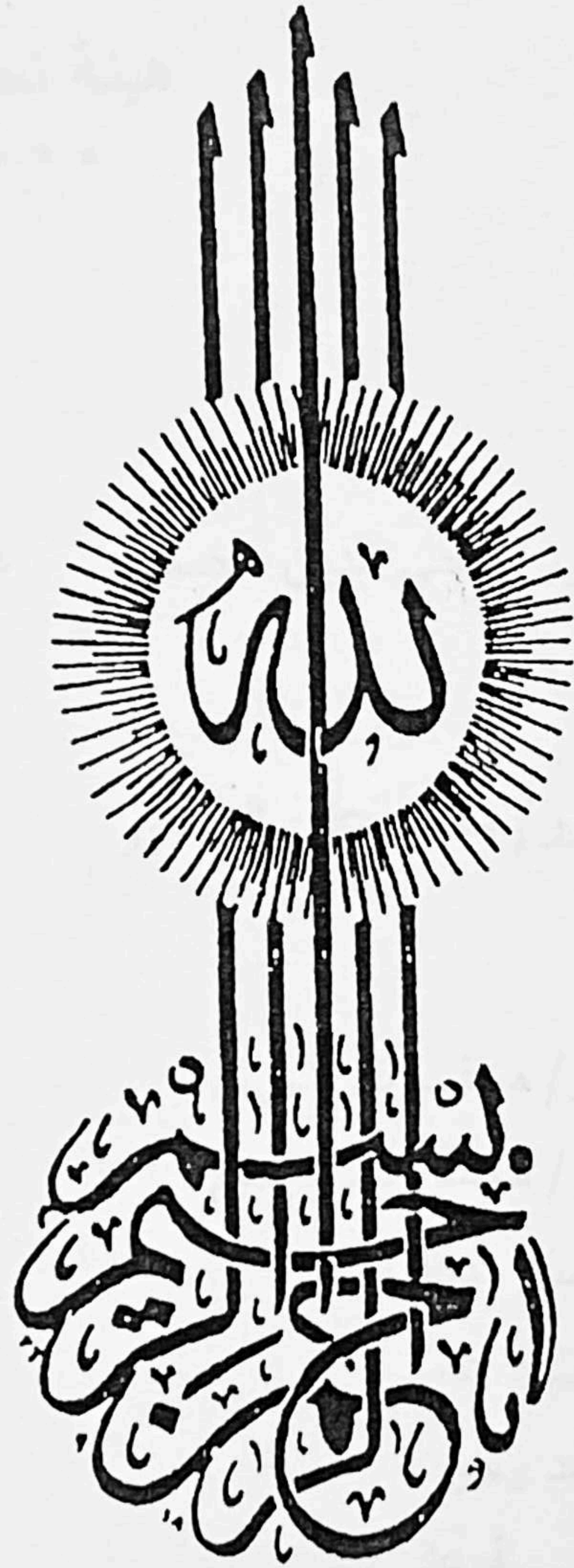
د. سلام شافعى محمود سلام
قسم التاريخ ـ كلية الآداب ببنها

إهداء للأخ الحبيب
الشيخ ناصر طلحة الشيبي
سادن الكعبة المشرفة
مع تحياتي
سلام
٢٦/٢/١٤٤٤هـ

بنو شيبة حجبة الكعبة

دراسة تاريخية لأعمال السدانة ومراسم الشيبيين
منذ فجر الإسلام حتى نهاية العصر المملوكى

د. سلام شافعى محمود سلام
قسم التاريخ – كلية الآداب ببنها



مجلة

الدراسات العربيــة

المرسلات باسم :***الأستاذ الدكتور/ محى الدين محسب***

عميد كلية دار العلوم-جامعة المنيا

تليفون-فاكس: ٠٨٦٣٦٩٠٦١

(المقدمـــــــة)

منذ أمر الله عز وجل إبراهيم أن يبنى البيت (الكعبة) هو وإسماعيل عليهما السلام ، وأمرهما بتطهيره لقوله تعالى : (وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (١) ، نشأت وظيفة السدانة ، وكانت أولاً فى بنى إسماعيل ثم فى قبيلة جرهم ، ثم فى قبيلة خزاعة التى كان يلى أمرها فى حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى شيخهما الأشهر حُليل الخُزاعى ، والذى كان بيده مفتاح الكعبة ، ثم انتقل من بعده إلى قصى بن كلاب زوج ابنته ، الذى آلت إليه حجابة الكعبة وولاية مفتاحها وزعامة مكة فى حوالى هذا التاريخ ، ثم أعطى قصى لأكبر ولده عبدالدار سدانة الكعبة ، وهى أعلا الوظائف من جهة الدين فى مكة ، حيث توارثها أبناؤه كل يسلمها إلى ولده الأكبر ، حتى جاء الإسلام ، وفتح الرسول ﷺ مكة، ودخل الكعبة لعشر بقين من رمضان سنة ٨هـ /يناير ٦٣٠م ، ونزل جبريل فى الكعبة يقرئه قول الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) (٢) ، ودعا سادنها عثمان بن طلحة (ت ٤٢هـ/ ٦٦٢م) ودفع إليه مفتاح الكعبة ، وأقره وأسرته على سدانتها وهو يقول : "خذوها يا بنى أبى طلحة خالدة تالدة لا يأخذها منكم إلا ظالم" (٣) ، ثم صارت السدانة إلى شيبة بن عثمان بن أبى طلحة - جد الشيبيين - فى سنة ٤٢هـ/٦٦٣م ، ومنذ هذا التاريخ وولاية مفتاح الكعبة وسدانتها وحجابتها وكل أمورها ، يتوارثها الشيبيون إلى يومنا هذا.

(١) سورة الحج ، آية ٢٦ .

(٢) سورة النساء ، آية ٥٨ .

(٣) ابن حجر : تهذيب التهذيب ، جـ ٤ ، ص ٢٧٦ .

والبيت الشيبى هو الأسرة الوحيدة التى إرتبط اسمها بسدانة بيت الله الحرام ، والبيت الشيبى هو أيضاً البيت الوحيد الذى حافظ على ترابطه وتجمعه ووحدته ، بسبب شرف اختصاصه بسدانة الكعبة وحجابتها ، وهذه الوظيفة الدينية - سدانة الكعبة- كانت هى مصدر المكانة المتميزة لهذه الأسرة ، التى ارتبط تاريخها بتاريخ الكعبة المشرفة بيت الله الحرام وقبلة المسلمين.

ورجالات وشيوخ هذه الأسرة ، يقفون عند أقدس عتبة ، ويحجبون أمام أقدس باب ، وبيدهم وحدهم أشهر مفتاح لأقدس وأقدم بيت لله على وجه الأرض ، "وهم يفخرون بذلك ويقولون: مفتاح هذا البيت الشريف دفعه إلينا رسول الله -ﷺ- بأمر الله تبارك وتعالى له بذلك ، وحق لهم أن يفخروا به ، وناهيك بهذا شرفاً وفخرا"(١) .

ووظيفتهم كتب لها الخلود ، كما أن هذه الأسرة رغم تعاقب أنظمة الحكم وزوال الأسرات الحاكمة ، التى فرضت حمايتها على المدينة المقدسة قد بقى رجالها على امتداد العصور حتى اليوم ، يؤدون وظيفتهم التى اختصهم الله بها ، وولاهم رسول الله ﷺ إياها ، وحذر من الاعتداء عليهم ، أو انتزاعها من أيديهم ، فهى فيهم خالدة وفى الحديث "خذوها يا بنى أبى طلحة خالدة تالدة لا يأخذها منكم إلا ظالم" (٢) ، وفى رواية لا ينزعها منكم إلا ظالم" (٣) - وهو ما يتحاشاه كل ولاة أمر المسلمين - ومنهم " بنو شيبة حجبة الكعبة دون سائر الناس أجمعين" (٤).

---

(١) التجيبى السبتى : مستفاد الرحلة والإغتراب ، ص ٢٦١ .

(٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب ، جـ ٤ ، ص ٢٧٦ .

(٣) ابن عبدالبر : الاستيعاب ، جـ٢ ، ص ٧١٢ ، ٧١٣.

(٤) المزى : تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ، جـ ١٢ ، ص ٦٠٦ .

ولما كانوا قد كلفوا بخدمتها وسدانتها وحجابتها ، والاختصاص وحدهم بكل أمورها ، وكان لهم نظمهم ومراسمهم فى أعمال سدانتها ، فقد وقع اختيارنا لموضوع هذا البحث "بنو شيبة حجبة الكعبة - دراسة تاريخية لأعمال السدانة ومراسم الشيبيين" .

وحتى تتضح أبعاد هذه الدراسة فقد قسمت هذا البحث إلى ستة مباحث ، على النحو التالى :

المبحث الأول : وفيه تحدثت عن "السدنة والسدانة" ، وشمل اللفظ لغة واصطلاحاً ، ونسب السدنة ، وشهادة العلماء لهم ، ومنصب السدانة ، وأحكام الشيبيين ، ووظيفة السادن الأول ، وألقابه ، وكيفية انتقال ولاية مفتاح الكعبة ، والإنابة فى مشيخة السدنة ، ودار المفتاح حيث مقر شيخ السدنة ، ثم دراسة تاريخية أثرية لمفتاح الكعبة المشرفة.

أما المبحث الثاني : فموضوعه "الحجبة وفتح الكعبة" وفيه تناولت الوقت الذى كانوا يفتحون فيه باب الكعبة فى الجاهلية ، وكذا أيام فتحهم للكعبة فتحاً عاماً حتى منتصف القرن الخامس الهجرى ، والمناسبات التى كانوا يفتحونها فيها ، ومراسم الشيبيين عند فتحهم باب الكعبة كعادتهم ، كما رآها الرحالة الفارسى ناصر خسرو، ثم أوقات فتحهم للكعبة فى العصر الأيوبى ، ومراسم فتحهم لها كما رآها الرحالة الأندلسى ابن جبير ، وأيام فتح الشيبيين باب الكعبة للنساء ، وأيام فتحهم للباب المكرم فى العصر المملوكى ، ومراسم فتحها كعادة الشيبيين كما رآها التجيبى السبتى ، ثم تناولت فتح الشيبيين باب الكعبة على سبيل الخصوصية لولاة المسلمين، ومراسم استقبال السدنة لأمير أيوبى يدخل الكعبة ، ثم قيام السدنة بفتح الكعبة فى بعض المواسم المكية وعند الضرورة.

وفي المبحث الثالث : تحدثت عن " السدنة وكسوة الكعبة" واختصاصهم باستلامها ، ودورهم فى الاحتفال بوصولها ، ومراسمهم عند تسلمها وتركيبها ، مع الإشارة إلى الكسوة الداخلية وكسوة مقام إبراهيم ، ثم دورهم ومراسمهم عند إحرام الكعبة وتجريدها من الكسوة ، ومرات تجريدها واسباب ذلك ، والأصل فى اتخاذ كيس لمفتاح الكعبة.

أما المبحث الرابع : فقد تحدثت فيه عن "السدنة وغسل الكعبة وتطييبها" ، ومراسم الشيبيين وإجراءات ومرات غسلها ، وقيام سدنتها بانفسهم بتطييبها واجود انواع الطيب التى يطيبونها بها .

وفي المبحث الخامس : تناولت "عناية السدنة بالحجر الأسود ، وسدانة المقام" ، وهما حجران مقدسان ، واهتمام السدنة بصيانة الركن اثر حوادث الاعتداء على هذا الأثر ، وسدانتهم لمقام إبراهيم، وجهودهم فى تضبيبه وسلامته .

أما المبحث السادس : فيتحدث عن " السدنة وإعداد فرش المطاف والمحافظة على هيبة الكعبة" ، مشيراً إلى جهودهم فى إعداد فرش المطاف ، ليكون الين على اقدام الطائفين من الحجاج والمعتمرين وجباه الساجدين ، مع الإشارة إلى إهتمام السدنة بالحفاظ على هيبة الكعبة . وكلها من أعمال السدانة.

المبحث الأول
السدانة والسدنة

١- السدانة لغة واصطلاحا .

٢ - نسب السدنة(بنوشيبة).

٣- منصب السدانة .

٤- السادن الأول - ألقابه - انتقال ولاية المفتاح.

٥- الإنابة في مشيخة السدنة.

٦- دار شيبة : (دار المفتاح) .

٧- مفتاح الكعبة .

١- السدانة لغة واصطلاحا :

السادن : خادم الكعبة وبيت الصنم (١) . وسَدَنَ سَدْناً وسِدَانَةً: خَدَمَ الكعبة أو بيت الصنم ، وعَمِلَ الحجابة فهو سادن والجمع سَدَنَةُ(٢) .

وفي (المصباح) : سَدَنْتُ الكعبة : (سَدْناً) خدمتها ، والسِّدَانَةُ بالكسر : الخدمةُ (٣) .

والسَّدَنَةُ : حُجَّابُ البيت وقومةُ الأصنام فى الجاهلية ، وهو الأصل ، وذكر النبى ﷺ سدانة الكعبة وسقاية الحاج فى الحديث (٤) . قال ابو عبيد : السدانة : خدمة البيت ، والسدنة : الرجال ، والواحد : سادن (٥) .

والسدانة : خدمة الكعبة وتولى امرها ، وفتح بابها وإغلاقه . يقال منه : سدنت أسدن سدانة ، ورجل سادن من قوم سدنة ، وهم الخدم (٦) .

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق عبدالله على الكبير وآخرون ، دار المعارف بمصر ، (د . ت) ، جـ ٢ ، ص ١٩٧٧ . مادة : سدن .

(٢) الطاهر احمد الزاوى : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير واساس البلاغة ، الطبعة الثانية ، مكتبة عيسى البابى ، القاهرة ، ١٢٩٠هـ / ١٩٧٠ م ، جـ ٢ ، ص٥١١ .

(٣) ابن على المقرى : المصباح المنير ، فى غريب الشرح الكبير ، تحقيق عبد العظيم الشناوى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٢٩٧هـ ، ١٩٧٧م ، ص ٢٧١ .

(٤) ابن منظور : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٩٧٧ .

(٥) ابوعبيد القاسم بن سلام : كتاب الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، الطبعة الثانية . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١١٩ .

(٦) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ١٩٧٧ .

والسدن : الستر : وزنا ومعنى (١) ، والجمع أسدان ، والأسدان والسدون ماجلل به الهودج من الثياب (٢) ويقال : سدن الستر وسدله : ارخاه ، وأسبل على الهودج سد له ، وسدنه (٣) وسدن ثوبه يسدُنَهَ : أرسله (٤) .

وسدنةُ البيت : حجبته (٥) والحاجب : البوابُ ، صفة غالبة، وجمعه حجبة ، وحجاب ، وخطته الحجابة وحجب الحجاب : الستر، وحجب الشئ، يحجبه حجباً وحجاباً ، وحجبه : ستره (٦) وحجبه : أي منعه من الدخول (٧) ، وفى المصباح : وقيل للستر (حجاب) لأنه يمنع المشاهدة ، وقيل للبواب (حاجب) لأنه يمنع من الدخول (٨) .

❖ ولكن مالفرق بين السادن والحاجب ؟

قال ابن برى (٩) : الفرق بين السادن والحاجب : أن الحاجب يحجب ، وإذنه لغيره ، والسادن يحجب ، وإذنه لنفسه والسدن والسدانة : الحجابة (١٠) . وسدنة البيت حجبته (١١)

---

(١) المقرى : المصباح المنير ، ص ٢٧١ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ١٩٧٧ .

(٣) الزمخشرى : أساس البلاغة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ م ، جـ ١ ، ص٤٢٢

(٤) الزاوى : ترتيب القاموس المحيط ، جـ ٢ ، ص ٥٤١ .

(٥) الزمخشرى : أساس البلاغة ، جـ ١ ، ص ٤٢٢ .

(٦) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ٧٧٧ ، مادة : حجب .

(٧) المرتضى الزبيدى : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق على هلال ، مطبعة حكومة الكويت . الكويت ، ١٢٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، جـ ٢ ، ص ٢٢٩ .

(٨) المقرى : المصباح المنير ، ص ١٢١ .

(٩) ابن برى : هو عبدالله بن برى أبو محمد المقدسى ثم المصرى النحوى صاحب التصانيف إنتهى إليه علم العربية فى زمانه ، توفى فى سنة ٥٨٢هـ (الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، تحقيق محمد السعيد زغلول ، الطبعة الأولى بيروت ، جـ ٢ ، ص ٨٤ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م).

(١٠) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ١٩٧٧ .

(١١) ———— : نفس المصدر ، والصفحة .

وأما سدانة الكعبة (اصطلاحاً) . فهى حجابتها من فتح بابها وإغلاقه ، وتلبيسها الكسوة ، وسائر خدماتها من : غسل الكعبة ، وإستلام الكسوة ، وتطيب الكعبة ، والاهتمام بامر الحجر الأسود والمحافظة على سلامته ، وسدانة المقام الشريف وصيانته وحراسته، وحفظ أموال الكعبة ومايهدى إليها ، وما يتبقى من كسوتها وطيبها) ، والتنبيه إلى ماقد يطرأ على بنيان الكعبة أو يتشعث منها ، والقيام بتجريد الكعبة من كسوتها ، و إحرامها وتشميرها ، مع الاهتمام ببابها ، وأقفالها ، ومفاتيحها ، والوقوف ببابها على عتبتها حجابة بابها المكرم عند فتحها للمحافظة على آداب دخولها وتعظيمها وحرمتها .

« والسدانة فى شيبة » (١)

---

(١) ابن منظور : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٩٧٧ .

٢- نسب السدنة بنو شيبة .

الشيبيون : مكيون ، قريشيون ، عبدريون ، من أشرف بيوتات مكة واعرقها نسباً .

وينتسبون الى شيبة بن عثمان بن أبى طلحة (واسمه عبدالله) بن عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصى القرشى العَبْدَري أبو عثمان ، الحجبى المكى ، حاجب الكعبة ، وأمه ام جميل واسمها هند بنت عمير بن هاشم بن عبدمناف ، أخت مصعب بن عمير ، وهو والد صفية بنت شيبة وابن عم عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ، "وهو جد بنى شيبة حجبة الكعبة"(١) .

وشيبة أبوه : عثمان بن أبى طلحة قتله على بن أبى طالب (يوم احد) كافراً وهو يحمل لواء المشركين سنة ٣هـ/ ٦٢٥م وشيبة جده : أبو طلحة (عبدالله بن عبدالعُزى) وهو خال ام النبى ﷺ .

لم نعرف السنة التى ولد فيها شيبة ، وإن كنا نعرف السنة التى توفى فيها وهى سنة ٥٩هـ / ٦٧٨م ، وفى بعض الروايات ٦١هـ /٦٨٠م (٢).

لا نعرف شيئاً عن نشأته ، ولم تتحدث المصادر عنه إلا فى مرويات (غزوة الفتح) واسهبت فى الحديث عنه فى مرويات (غزوة حنين) (٣) .

عندما ظهر الإسلام فى مكة كان موقفه شديد العداوة للإسلام ، من منطلق عصبية العادات والتقاليد ، والتمسك بديانة الآباء

---

(١) المزى : تهذيب الكمال ، جـ ١٢ ، ص ٦٠٤ .

(٢) ـــــــ : نفس المصدر ، جـ ١٢ ، ص ٦٠٥ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٢١٣ .

والأجداد (١) ، ولما قتل ابوه فى وقعة (أحد) ، ازدادت عداوته لرسول الله ﷺ ، وعزم على الثأر منه انتقاماً لأبيه ، ولما فتح النبى ﷺ مكة، لم يسلم شيبة ، وكان ممن أمَّنَهم رسول الله ﷺ ، ولما خرج جيش المسلمين لقتال هوازن فى (حنين) ، خرج شيبة وهو مشرك يريد اغتيال النبى عليه الصلاة والسلام ، متى لاحت الفرصة أخذاً بثأر أبيه أو أخذاً بثأر قريش كلها (٢) ، وفى المعركة وأثناء محاولته بَصُرَ بِه رسول الله ﷺ واستدعاه ، ووضع يده الشريفة على صدر شيبة ودعا له ، فقذف الله فى قلبه الإسلام ، ولما دعاه الرسول ﷺ إلى قتال الكفار ، انطلق شيبة يقاتل إلى جانب النبى ﷺ وكان ممن صبر حين فر الناس ، وتجمع المصادر التى أرخت لشيبة أنه "كان من خيار المسلمين" (٣) .

ترجم له محمد بن سعد فى طبقاته ، فى (الطبقة الخامسة) من أسلم بعد الفتح (٤).

وقد روى شيبة عن رسول الله ﷺ ، وعن أبى بكر الصديق ، وعن ابن عمه عثمان بن طلحة ابن أبى طلحة الحجبى ، وعن عمر ابن الخطاب ، كما روى عنه ابن ابنه مسافع بن عبدالله بن شيبة ، وابنه مصعب بن شيبة وآخرون (٥).

وتولى شيبة حجابة الكعبة وسدانتها سنة ٤٢هـ /٦٦٣م بعد وفاة ابن عمه عثمان بن طلحة بن أبى طلحة الحجبى ، وذلك فى خلافة معاوية ، وظل على سدانته حتى توفى سنة ٥٩ هـ /٦٧٨م أو فى سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م (٦) .

---

(١) البلاذرى : أنساب الأشراف ، جـ ٩ ، ص ٤٠٥ .

(٢) ابن كثير : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٢١٢ .

(٣) المزى : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٦٠٥ .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٥ ، ص ٤٤٨ .

(٥) المزى : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٦٠٥ .

(٦) ابن حجر : الإصابة فى تمييز الصحابة ، جـ ٢ ، ص ٤٦٠ .

ويعد شيبة أول من ولى سدانة الكعبة فى الإسلام ، وهو جد الشيبيين سدنة بيت الله الحرام إلى اليوم ، وبيدهم مفتاح الكعبة المشرفة" وولاية البيت" وإلى الساعة مفتاح البيت معهم" (١) وإليهم أشار جمع غفير من علماء المسلمين على امتداد العصر الإسلامى ، فيهم يقول البلاذرى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) : " والحجابة فى بنى شيبة والمفتاح عندهم إلى اليوم" (٢).

أما ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩ م) فيقول: " وشيبة بن عثمان فى ولده المفتاح إلى يومنا" (٣) .

ويقول ابن عبدربه (ت ٣٢٨هـ / ٩٤٠ م) : "وسدنة البيت هم بنو شيبة" (٤) .

أما ابن حزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م) فيقول : "فبنو أبى طلحة إلى اليوم هم ولاة الكعبة دون سائر بنى عبدالدار .. فولد شيبة : عبدالرازق وجبير ، وجماعة مشهورين إلى اليوم" (٥).

ويقول ابن عبدالبر (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م) و"شيبة هذا هو جد بنى شيبة حجبة الكعبة إلى اليوم دون سائر الناس أجمعين" (٦).

أما المحب الطبرى (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٥م) فيقول : "فبقيت الحجابة فى بنى شيبة" (٧) .

---

(١) السمعانى : الأنساب ، جـ ٧ ، ص ٤٤٠ .

(٢) البلاذرى : أنساب الأشراف ، جـ ٩ ، ص ٩٠٥ .

(٣) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٧٠ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٧ ، ص ٢٨٥ .

(٥) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ١٢٧ .

(٦) ابن عبد البر : الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ، جـ ٢ ، ص ٧١٢ ، ٧١٣ .

(٧) المحب الطابرى : القرى لقاصد أم القرى ، ص ٤٦٢ .

ويقول التجيبى السبتى (ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م) " والحجابة باقية فى ولد شيبة بن عثمان إلى يومنا هذا" (١) ، "والمفتاح بأيديهم إلى الآن" (٢) .

أما ابن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م) فيقول : " وشيبة بن عثمان بن أبى طلحة الذى صارت الحجابة فى نسله إلى اليوم" (٣) .

فيقول الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م) : " ويقال .. الحجبة لحجبهم الكعبة ، ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة إلى شيبة بن عثمان بن أبى طلحة .. وله أيضاً صحبة ورواية" (٤).

وفى (الضوء) يقول السخاوى (ت ٩٠٢هـ/١٢٨٦م) عن أحد مشايخهم : " وأبو البركات يوسف بن محمد ... العبدرى ، الشيبى الحجبى المكى ، شيخ الحجبة وفاتح الكعبة ، وابن شيخها ، بل سلالة مشايخها (٥) .

---

(١) التجيبى السبتى : مستفاد الرحلة والإغتراب ، ص ٢٦١ .

(٢) ———— : نفس المصدر ، ص ٢٦٠ .

(٣) ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير ، جـ ٢ ، ص ٤٠٥ .

(٤) ابن حجر : تهذيب التهذيب ، جـ ٤ ، ص ٢٧٦ .

(٥) السخاوى : الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع ، جـ ١١ ، ص ٧٠٦ .

٣- منصب السدانة (حجابة الكعبة) فى الاسلام :

السدانة منصب بنى شيبة[١] ولد أبى طلحة العبدريين "ولاة البيت"[٢] و "حجبة الكعبة ... دون سائر الناس أجمعين"[٣].

وهى وظيفة من أعظم الوظائف الإسلامية[٤] "وأعلاها شرفاً وفخراً"[٥] "فى خطة دونها الخلافة رفعة" على حد قول ابن جبير[٦]، لا تقاس بغيرها من الوظائف الدينية، فهى ولاية من الله تبارك وتعالى إلى يوم القيامة، اختصهم الله بها، وولاهم رسول الله ﷺ إياها[٧].

وفى "أحكام الشيبيين" يذكر شيخ السدنة محمد بن صالح الشيبى (ت ١٢٣٥ هـ) : "أن هذه الولاية لهم من الله ورسوله"[٨]، وهو يتفق فى ذلك مع السادن طلحة بن حسن الشيبى أحد رؤساء السدنة المعاصرين عندما يقول :

---

(١) المحب الطبرى : القرى لقاصد ام القرى، تحقيق مصطفى السقا، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص٥٠٦.

(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة ١٣٩١هـ /١٩٧١م، ص ١٢٧.

(٣) المزى : تهذيب الكمال فى اسماء الرجال، تحقيق بشار عواد، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م، جـ١٢، ص٦٠٤.

(٤) الكردى : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، ١٤١٢هـ، جـ٥، ص٦٢.

(٥) التجيبى السبتى : مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبدالحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ص ٢٦١.

(٦) ابن جبير : رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م، ١٢٩.

(٧) المحب الطبرى : المصدر السابق، ص ٥٠٦.

(٨) محمد صالح الشيبى : إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام، تحقيق اسماعيل احمد حافظ، نادى مكة الأدبى، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م، ص ٢٦٥.

إن "سدانة الكعبة المشرفة ... متعلق أمرها بسدنتها وحجتها بنى أبى طلحة العبدريين الحجبيين، لا يجوز لأحد المداخلة فى أدنى شئون بيت الله الحرام، لأنها ولاية من الله ورسوله، ولا تقاس بغيرها من الوظائف، وهذه الوظيفة على موجب ما هو معلوم، ثابتة لهم جاهلية وإسلاماً"[١].

والسدانة من مفاخر الشيبيين العبدريين[٢] ومن مآثرهم التى ابقى عليها الإسلام[٣] وفى خطبته ﷺ على باب الكعبة يوم الفتح: "الا كل مأثرة كانت فى الجاهلية فهى تحت قدمى هاتين إلا سقاية الحاج وسدانة البيت"[٤] والمأثرة : المكرمة والمفخرة التى تؤثر عنهم أى تروى وتذكر[٥]، وقد استثنى الرسول ﷺ (السدانة) و (السقاية) لأن فيهما تعظيم حرمات الله من حفظ البيت والقيام عليه[٦]. وفى أسباب النزول أن قوله تبارك وتعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾[٧]، نزلت فى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة (صاحب مفتاح الكعبة) حين أخذ النبى ﷺ منه المفتاح، ودخل الكعبة المعظمة، فنزل عليه جبريل عليه السلام بالآية، فخرج ﷺ

---

(١) الكردى : المرجع السابق، جـ٥، ص ٦٢.

(٢) التجيبى السبتى : المصدر السابق، ص٢٦١.

(٣) الأزرقى : اخبار مكة، وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي صالح ملحس، دار الأندلس، مكة المكرمة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، جـ١، ص ١١٤.
- التجيبى السبتى : المصدر السابق، ص ٢٦١.

(٤) البيهقى : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبدالمعطى قلعجى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، جـ٥ ص ٨٥، ٨٧.
- المحب الطبرى : المصدر السابق، ص ٥٠٢.

(٥) المحب الطبرى : نفس المصدر، والصفحة.

(٦) عبدالحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، بيروت، لبنان (د ت)، جـ١، ص ١١٣.

(٧) سورة النساء، الآية ٥٨.

يتلوها ، ودعا عثمان بن طلحة فدفع إليه مفتاح الكعبة(١) ، وهو يقول : "خذوها يا بنى ابى طلحة خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ياخذها منكم إلا ظالم"(٢) ، وفى رواية: "خذوها يا بنى ابى طلحة بامانة الله سبحانه ، واعملوا فيها بالمعروف ، خالدة تالدة لا ينزعها من ايديكم إلا ظالم"(٣) ، فبنو ابى طلحة هم ولاة البيت ، "وهم الذين يلون سدانة الكعبة دون سائر بنى عبدالدار"(٤) ، ولم يزل عثمان بن طلحة ابن ابى طلحة فى سدانة الكعبة حتى مات سنة ٤٢هـ/٦٦٢م ، فصارت وظيفة السدانة (رئاسة السدنة) إلى ابن عمه شيبة بن عثمان بن ابى طلحة(٥) ، "فبقيت الحجابة فى ولد شيبة"(٦) ، وفى ذلك يقول المزى : "وشيبة هذا جد بنى شيبة حجبة الكعبة دون سائر الناس أجمعين"(٧) ، وفى (مستفاد الرحلة) يقول التجيبى السبتى الذى حج فى موسم ٦٩٦هـ (١٢٩٧م) : "والحجابة اليوم باقية فى ولد شيبة بن عثمان إلى يومنا هذا"(٨) ، اما القلقشندى

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، جـ١، ص٥١٥،٥١٦.
- الشوكانى : فتح القدير ، الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، جـ١ ، ص٤٨٠،٤٨١.
(٢) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص ٢٦١.
(٣) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١١٠.
(٤) المصعب الزبيرى : نسب قريش ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص٢٥٢.
(٥) المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص ٥٠٥.
(٦) ابن الجوزى : مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ، تحقيق مرزوق إبراهيم ، الطبعة الأولى ، مكتبة الراية ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، ص ٣٦٦.
(٧) المزى : المصدر السابق ، جـ١٢ ، ٦٠٤.
(٨) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص ٢٦١.

(ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) فيقول : "والسدانة باقية فيهم إلى الآن"(١) ، وفى الحديث : "إلى يوم القيامة"(٢).

ولا يجوز لاحد ان يتولى هذه الوظيفة غيرهم ، او ينزعها منهم ، ففى كتابة (القرى لقاصد أم القرى) صرح المحب الطبرى مفتى الحجاز وعالم مكة وقاضيها فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى بانه "لا يجوز لاحد ان ينزعها منهم .... لانها ولاية من رسول الله ﷺ ، وبه اجمع علماء مكة ومفتوها(٣).

والثابت اننا لم نجد طوال دراستنا لهذا الموضوع ان احداً من الخلفاء او السلاطين او الأمراء ممن كانت لهم ولاية على مكة اقدم، او اجترا على انتزاعها منهم ، او إقصائهم عنها ، مهما كان خلافه مع زعامات البيت الشيبى ، او بعض ابنائه بنى ابى طلحة ، لان انتزاعها منهم مخالفة لامر الله عز وجل وفعل رسول الله ﷺ، وفى الحديث "لا ينزعها من ايديكم إلا ظالم"(٤) وهو امر يتحاشاه كل ولاة امر المسلمين.

ولا يحل تفويض شىء من أعمال السدانة لغيرهم(٥) ، ولا يجوز مشاركة السدنة خدمة الكعبة حيث قاموا بشئونها وكل امورها ، لانها ولاية منه ﷺ لرهط عثمان سادنها عام الفتح ، ففى "احكام الشيبين وماجرت به عادتهم القديمة" : انه لا يجوز لاحد

(١) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، المؤسسة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩١٢-١٩١٧م ، جـ٤ ، ص٢٦٥.
(٢) البيهقى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٨٥ ، ٨٧.
(٣) المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص ٥٠٦.
(٤) ———— : المصدر السابق ، ص ٥٠٢.
(٥) الدهلوى : السلسلة الذهبية فى الشجرة الشيبية مخطوط بمكتبة الحرم المكى الشريف، برقم ٢٤٠٥، ورقة ٩.

مشاركتهم فى السدانة ، ولا فى المفتاح، ولا فى خدمة البيت المعظم"[1] ، على حد قول شيخ من شيوخ السدنه " لا يجوز لأحد المداخلة معهم فى ادنى شؤون (البيت الحرام) [2] ، ويروى السدنة الشيبيون أن الإمام ابا حنيفة لما حج دخل البيت الشريف واعطى السادن (شيخ السدنة) الف دينار ، وافتى بقوله: "بنو شيبة هم سدنة البيت إلى يوم القيامة . لا يشاركهم احد فى خدمته"[3] وفى (المدونة الكبرى) أعظم الإمام مالك "ان يُشرِكُوا مع الحجبة فى الخزانة احداً"[4] لأنها ولاية منه ﷺ ، ومالك حجة الله فى ارضه على حد قول الشافعى رضي الله عنه ، و(الخزانة) يعرفها القاضى عياض بانها : امانة البيت[5].

وفى (احكام الشيبيين) انه لا يجوز معارضتهم وتغيير عوائدهم التى ابقاها عليهم النبى ﷺ وخلفاؤه الراشدون كما دلت عليه السنة الصحيحة ، وما افتى به الفقهاء ومفتو مكة[6].

ولا يحل تفويض شئ من أعمال السدانة لغيرهم ، ولا لأحد منازعتهم فيها ، ويحرم نزع المفتاح منهم[7].

وولاية (وظيفة) سدانة الكعبة مختصة بالذكور من آل شيبة . فبنات بنى شيبة لا حق لهم فى السدانة بنفسهن ولا ابنائهن ، لأنها ولاية (وظيفة) مختصة بالذكور ، واما بنى البنات فلا حق لهم ، لأنهم ليسوا من بنى شيبة[8].

---

(١) محمد صالح الشيبى : المصدر السابق ، ٢٦٩.

(٢) الكردى : المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ٦٢ .

(٣) محمد صالح الشيبى : نفس المصدر ، ص ٢٧١.

(٤) مالك بن انس : المدونة الكبرى ، مطبعة السعادة بمصر ، سنة ١٢٢٥هـ ، جـ٢ ، ص ٩٢.

(٥) محمد صالح الشيبى : المصدر السابق ، ص ٢٨٤.

(٦) ——— : نفس المصدر ، ص ٢٦٩.

(٧) الدهلوى : المصدر السابق ، ورقة ٩.

(٨) ——— : نفس المصدر ، والورقة .

٤- السادن الأول (شيخ السدنة) .

ويتولى منصب (السدانة) أو (الحجابة) اي منصب (السادن الأول) ، ورئاسة السدنة ، وفتح الكعبة ، وتملك مفتاح الكعبة المعظمة ، والقيام على كل امورها او ما اصطلح على تسميته بـ (مشيخة السدنة) (مشيخة الحجبة) (مشيخة الكعبة) - اكبر رجالات البيت الشيبى سناً ، ولا يجوز تقديم اصغر السدنة على اكبرهم ولو كان غير مرضى الحال[1] إذ جرت عادة الشيبيين بتقديم اكبرهم سناً على ولاية مفتاح الكعبة[2] ، "ومراعاة الأكبر فالأكبر عرف لهم لا ينظر إليه شرعاً كما صرح بذلك العلماء"[3].

وفى فتاوى الكازرونى[4] " ان تقديم السدنة فى اكبرهم سناً من فعله ﷺ ، لانه دفع المفتاح يوم الفتح إلى عثمان لانه اكبرهم سناً مع وجود شيبة بن عثمان بن ابى طلحة ، فلما هاجر عثمان إلى المدينة دفع المفتاح إلى ابن عمه شيبة ، فلما رجع عثمان إلى مكة - بعد وفاة النبى ﷺ - اخذ المفتاح منه ، وبقى فى يده إلى ان مات سنة ٤٢هـ / ٦٦٢م ، فتولى السدانة ابن عمه شيبة ، فبقى المفتاح وامور

---

(١) محمد صالح الشيبى : المصدر السابق ، ص ٢٦١.

(٢) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، جـ١١ ، ص٧.

(٣) السخاوى : نفس المصدر ، والصفحة.

- على بن عبدالقادر الطبرى : الأرج المسكى فى التاريخ المكى وتراجم الملوك والخلفاء . المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، ص١٥٥.

(٤) هو على بن محمد بن محمود الكازرونى ، ظهير الدين ، المؤرخ والفقيه ، من اهل بغداد ، من كتبه (النبراس المضئ) فى فقه الشافعية ، توفى سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٨م ، (الزركلى ؛ الأعلام ، جـ٤ ، ص ٣٢١).

الكعبة فى يده سبع عشرة سنة إلى أن مات سنة ٥٩ هـ (٦١هـ) ، فتولى بعده أكبر أولاده مصعب[1] .

ومن ثم افتى عدد من الفقهاء بانه "إذا اختلف حجبة الكعبة فيما جرت به عادتهم من تقديم الأكبر فالأكبر ، يقضى لهم بذلك ، لأنه لا شك أن القضاء بالعرف والعادة أمر معمول عليه فى الشريعة فى أبواب متعددة من أبواب الفقه"[2].

وعلى ايه حال فإننا لم نجد فى المصادر التى بين ايدينا طوال الفترة التى نؤرخ لها (موضوع البحث) أن أبناء البيت الشيبى خرجوا على هذه القاعدة ، لأنها التزام منهم بفعل النبى ﷺ ، كما انها صارت عرفاً سائداً بينهم وتقليداً أصيلاً بين ما يعرف اصطلاحاً بـ "احكام الشيبيين وعاداتهم القديمة" [3] ، فضلاً عن أن هذا الإلتزام يضمن عدم النزاع والصراع فيما بينهم ، بما يحفظ للبيت الشيبى وحدته وقوته وتماسكه ، ويُظهر ابناءه سدنة بيت الله الحرام بمظهر الوقار والاحترام والتقدير امام ارباب الدول وعموم المسلمين .

■ القاب السادن الأول :

اما عن القاب (السادن الأول) للكعبة المشرفة فقد أطلق ابن عبدربه (ت ٣٢٩هـ /٩٤٠م) فى (العقد الفريد) على عثمان بن طلحة الذى دفع إليه النبى ﷺ مفتاح الكعبة – وهو اول من تولى منصب السدانة فى الاسلام – لقب (صاحب الحجابة)[4] ، كما أطلق عليه

---

(١) محمد صالح الشيبى : المصدر السابق ، ص ٧٩.

– الدهلوى : المصدر السابق ، ورقة ٧.

(٢) محمد صالح الشيبى : المصدر السابق ، ص ٢٦١.

(٣) : نفس المصدر ، والصفحة .

(٤) ابن عبدربه : العقد الفريد ، جـ٢ ، ص ٢١٧.

ابن جبير لقب (صاحب حجابة البيت)[1] ، وكل منهما يعد مصطلحاً دقيقاً يدل على انفراد شخصه بمسئولية وظيفة حجابة الكعبة وسدانتها .

كما أطلق مؤرج السدوسى (ت ١٩٥هـ/٨١١م) وهو من اقدم مصادرنا فى كتابه "حذف من نسب قريش" لقب (سادن الكعبة) على شيبة بن عثمان جد البيت الشيبى وثانى من تولى منهم (مشيخة السدنة) فى الإسلام[2] .

و(السادن الأول) هو (زعيم الشيبيين) عند ابن جبير ، وقد اطلقه على محمد بن إسماعيل بن عبدالرحمن الشيبى الذى كان يتولى (حجابة البيت الحرام) ، "ونيطت به سدانة البيت العتيق" والذى التقى به ابن جبير عند الكعبة فى موسم سنة ٥٧٩هـ[3].

كما أطلقه التجيبى السبتى على شيخ السدنة[4]، وهو (صاحب مفتاح الكعبة المعظمة المشرفة ورئيس السدنة الشيبيين" عند الأقشهرى ، الذى كتب بخط يده نسبة صاحبه غانم بن يوسف الشيبى (ت٧٤٣هـ/١٣٤٣م)، وقد نقلها من على نصبة قبره[5] .وهو (كبير الشيبيين) عند ابن بطوطة[6]، و(حاجب الكعبة المعظمة) عند

---

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص٥٩.

(٢) مؤرج السدوسى : حذف من نسب قريش ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ٤٥.

(٣) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٤٢.

(٤) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص ٤٦٥.

(٥) الفاسى : العقد الثمين ، جـ٧ ، ص ٦٠٥ .

(٦) ابن بطوطه : رحلة ابن بطوطه ، المسماه تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، القاهرة ، ١٢٨٦هـ/١٩٦٦م ، ص ٩٢.

ابن كثير[١] . و(شيخ الحجبة بباب الكعبة) عند ابن حجر وابن تغرى بردى[٢] وهو تحديد دقيق لمن يتولى (سدانة) (حجابة بيت الله الحرام) كوظيفة دينية ليست كغيرها من وظائف الحجابة التى تكون على أبواب الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء ارباب الدول وهو (شيخ الحجبة وفاتح الكعبة المشرفة) عند الفاسى[٣]، و(شيخ السدنة) عند ابن فهد[٤] ، اما عند ولده عز الدين فهو (شيخ الكعبة)[٥] الذى يتولى (مشيخة السدنة)[٦] (مشيخة الحجبة)[٧] (مشيخة الكعبة)[٨]. اى سدانة بيت الله الحرام .

اما المقريزى فقد أطلق على معاصره جمال الدين الشيبى اشهر السدنة فى العصر المملوكى لقب (شيخ الحجبة وفاتح الكعبة وقاضى مكة وناظر الحرام)[٩] مما يدل على ان (السادن الأول) نيطت به

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، جـ١ ، ص٥١٥.

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ١٥ ، تحقيق إبراهيم على طرخان ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، ص١٦٥.

(٣) الفاسى : العقد الثمين ، جـ٢ ، ص١٩٩.

(٤) ابن فهد : اتحاف الورى باخبار ام القرى ، تحقيق فهيم شلتوت ، جامعة ام القرى - مكة المكرمة ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م ، جـ٣ ، ص ١٢٩.

(٥) عبدالعزيز بن فهد : غاية المرام باخبار سلطنة البلد الحرام ، الجزء الثانى ، تحقيق فهيم شلتوت ، الطبعة الأولى ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، ص ٥٦١.

(٦) ——— : غاية المرام باخبار سلطنة البلد الحرام ، الجزء الرابع ، تحقيق عبدالكريم على باز ، الطبعة الأولى ، جامعة ام القرى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨، ص١١٨.

(٧) السخاوى : الضوء اللامع ، جـ١٠ ، ص ٢٣٢.

(٨) ——— : نفس المصدر ، جـ٥ ، ص١٧٥.

(٩) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ١ ، ق٢، تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة، ١٩٧٠م ، ص١٢٢.

وظائف أخرى مرموقة إلى جانب (سدانة البيت) . وهى (قضاء مكة) و (مشيخة الحرم)[١].

■ انتقال ولاية مفتاح الكعبة ومشيخة الحجبة :

أما عن كيفية انتقال (ولاية مفتاح الكعبة) بعد وفاة رئيس السدنة إلى مَنْ يخلفه فى (ولاية مفتاح الكعبة) و (مشيخة الحجبة)، فإن المصادر الإسلامية التى تحت ايدينا خلال الفترة التى نؤرخ لها ، لا تتحدث عن ذلك ، وإن كان بعضها يشير إلى أن أمر انتقال (ولاية مفتاح الكعبة) فى بداية العصر الأيوبى وفى عهد صلاح الدين كان يصدر به مرسوم من الخليفة العباسى فى بغداد[٢]، كما يشير ابن فهد وغيره بأن أمر استقرار الشيخ جمال الدين محمد بن على الشيبى (ت ٨٣٧هـ/١٤٣٣م) فى (ولاية مفتاح الكعبة ومشيخة السدنة) سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م صدر به مرسوم من السلطان المملوكى الأشرف برسباى بالقاهرة[١].

ولقد ظلت المصادر كلها لا تتكلم عن كيفية انتقال ولاية المفتاح ومشيخة الكعبة ، حتى جاء مؤرخ مكة الأشهر فى القرن الحادى عشر الهجرى على بن عبدالقادر الطبرى (ت ١٠٧٠هـ / م) والذى كان معاصراً لعدد من ولاة مكة الحسينيين فيقول : "ومن قواعد ساداتنا الأشراف (ولاة مكة) ، انه إذا مات فاتح بيت الله

---

(١) الفاسى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٢٧٨.

(٢) ابن جبير : المصدر السابق ، ص

(٣) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٦١٠ ، ٦٢٩.
وانظر : ابن حجر ، ابناء الغمر ، جـ٣ ، ص ٥٢٠.

الحرام يحمل مفتاح الكعبة إلى صاحب البلد . ثم يصل إليه من جرت العادة بتوليته للمنصب . (أى أكبر رجالات البيت الشيبى سنا) "فيسلمه صاحب البلد مفتاح الكعبة المشرفة"(١) ، ثم يشير إلى مكانة (فاتح البيت وشيخ السدنة) عند ولاة مكة فيقول : "ومن قواعد ساداتنا الأشراف فى مجالسهم" أن جهة اليمين فى مجلس صاحب البلد لبنى عمه ، وجهة اليسار للفقهاء والأعيان ولبعض ذوى البيوت القديمة . ولبنى شيبة الجلوس بين يدى صاحب البلد وقراءة الفاتحة عند الإنصراف"(٢).

---

(١) ابن عبدالقادر الطبرى : المصدر السابق ، ص ١٤١.
(٢) ———— : نفس المصدر ، و الصفحة.

٥ – الإنابة فى مشيخة السدنة :

لـ "شيخ الحجبة وفاتح الكعبة" أن ينيب عنه فى حجابة الكعبة من يراه من أبناء البيت الشيبى ، ليقوم عنه فى بعض أعمال السدانة(١) ، أو كلها ، بسبب الغياب للسفر(٢) أو المرض(٣) أو عندما يستدعى الأمر ذلك(٤)، بغض النظر عن سن السادن الذى سيتولى الإنابة ودرجة قرابته للشيخ أو منزلته أو مكانته العلمية والفقهية فى مكة ، فالإنابة غير مشيخة السدنة التى يشترط أن يتولاها أكبر رجال البيت الشيبى سنا (٥).

فشيبة (الأول) جد الشيبيين أرسل حفيده الصبى شيبة بن جبير ابن شيبة – وهو غلام صغير – ومعه مفتاح الكعبة نيابة عنه ليفتح باب الكعبة المشرفة للخليفة (معاوية) سنة ٥٠هـ / ٦٧١م عندما أبى كبير السدنة المرموق أن يخرج من دار ليفتح بنفسه باب الكعبة لمعاوية ، محتجاً ومعلناً عن غضبه لقيام معاوية بشراء (دار الندوة) بينما كان يرى شيبة الكبير أنه أحق بالشفعة(٦).

وكذلك أناب (عثمان بن طلحة بن أبى طلحة) شيخُ السدنة ابنَ عمه (شيبة بن عثمان) فى منصب مشيخة السدنة ، عندما عاد

---

(١) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٧.
(٢) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١١١.
– ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٦١٠.
(٣) ابن عبدالقادر الطبرى : المصدر السابق ، ص ١٤١.
(٤) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢٧.
(٥) محمد صالح الشيبى : المصدر السابق ، ص٢٧٩.
(٦) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١١١.

عثمان ابن طلحة ... إلى المدينة ... في صحبة النبي ﷺ .
فلما رجع عثمان إلى مكة بعد وفاة النبي ﷺ بقيت السدانة فيه إلى
ان مات سنة ٤٢هـ ٦٦٢م[١] .

كما ان "شيخ الحجبة وفاتح الكعبة" محمد بن ابى بكر بن ناصر الشيبى (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٥م) كان صهره يوسف بن محمد بن راجح الشيبى لينوب عنه فى "حجابة الكعبة" مدة غيابه اثناء سفره إلى مصر إلى حين حضوره إلى مكة . "فباشر يوسف ذلك فى آخر شعبان او فى اوائل رمضان" من سنة ٧٥٧هـ (١٣٥٦م)[٢] . كما اناب ابو بكر محمد الشيبى "شيخ الحجبة وفاتح الكعبة" (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) اثناء غيابه عن مكة ولدَه أحمدَ فى وظيفة (حجابة الكعبة) من العشر الأخيرة من رمضان سنة ٧٨٨هـ (أكتوبر ١٣٨٧م) إلى وفاة احمد فى ذى القعدة من السنة المذكورة[٣] .

وقد اناب الشيخُ نفسُه اخاه على بن محمد المعروف بنور الدين (ت٨١٥هـ/١٤١٢م) "شبراً فى حجابة الكعبة فى أوائل سنة ٨١٥هـ (١٤١٢م) وهى السنة التى مات فيها"[٤] .

ومرات الإنابه فى وظيفة مشيخة الحجبة ورئاسة السدنة كثيرة ومتعددة ، على انه من الثابت أننا لم نجد أحداً من غير ابناء البيت الشيبى المختص بشرف السدانة قد تولى منصب (مشيخة الحجبة) بالإنابة مهما علا قدره وسمت منزلته .

(١) المزى : المصدر السابق ، جـ١٢ ، ص ٦٠٣ ، ٦٠٤ .
(٢) الفاسى : العقد الثمين ، جـ١ ، ص ٤٢١ .
(٣) ———— : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٢٢٧ .
(٤) ———— : نفس المصدر ، والصفحة .

٦– دار شيبة (دار المفتاح) .

هى مقر السادن الأول (فاتح الكعبة وشيخ الحجبة) ، (صاحب مفتاح الكعبة) ، وهى دار ابى طلحة (عبدالله) بن عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار ، اول مشايخ سدنة الكعبة قبيل الإسلام[١] ، وهى التى عرفت فى الإسلام بدار شيبة بن عثمان بن ابى طلحة جد الشيبيين واشهر رجالات السدنة فى الإسلام[٢]، وتعد من اشهر الدور فى مكة ، وتقع فى ربع بنى عبدالدار[٣] ضمن رباع قريش البطاح ، حيث تسكن كبرى عشائر مكة التى لها الشرف والعز والجاه[٤] ، وكانت على وجه التحديد فى (خَيْف الكعبة)[٥] ، "إذ كان يقال للمسجد ، ودار الندوة ، ودار شيبة : خَيْفُ الكعبة" ، وكانت فى جهة الشق الشامى من الكعبة[٦] .

ولها باب يشرع فى المسجد الحرام[٧] ، "إذ هى من الدور التى تستقبل المسجد من جوانبه خارجاً ... الوادى ولا تلزق به"[٨] ، وفيها

(١) الفاكهى : اخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه ، دراسة وتحقيق عبدالملك بن دهيش ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م ، جـ٣ ، ص ٢١٢.
(٢) ———— : نفس المصدر ، والصفحة.
(٣) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢٥٢.
(٤) ابن سعيد الأندلسى : نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق نصرت عبدالرحمن ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٢م ، جـ١ ، ص ٣٢٢.
(٥) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٨٧.
الخيف : ما ارتفع من الوادى ،انحدر من الجبل . والخيف . ما ارتفع عن موضع مجرى السيل وسيل الماء وانحدر عن غلظ الجبل ... ومنه قيل مسجد الخَيف بمِنًى ، لانه خيف الجبل (ابن منظور : لسان العرب ، جـ٢ ، ص ١٣٠٤، مادة : خيف).
(٦) ———— : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٢٠٦.
(٧) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٥٢.
(٨) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص٢١٢.

(خزانة الكعبة) التى وضع فيها الشيبيون ذخائر وتحف الكعبة وأموالها وما يعرف بـ (كنز الكعبة)[1] فضلاً عن بعض الوثائق التى أؤتمنوا عليها[2] ، لتكون على مقربة منهم ، وتحت حراستهم ونصب أعينهم .

وهذه الدار شهدت أحداثاً هامة تخص الكعبة وأموالها ، ففيها يقيم (السادن الأول) (شيخ الحجبة وفاتح الكعبة) ، صاحب مفتاح بيت الله الحرام ورئيس بنى شيبة[3] . وهى مجاورة لـ (دار الندوة) دار الحكم ومنتدى مكة فى الجاهلية[4] ، والتى كان ينزلها الخلفاء - فى القرنين الأول والثانى من الهجرة - إذا حَجُّوا[5] ، نزلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى قَدْمَة قدمها يستقرب المسجد[6] ، وعَمَّرها معاوية ونزل بها خلفاء بنى أمية عند حجهم ، كما نزلها الخليفة المهدى العباسى ، وأتى إليه سادن الكعبة عبيد الله بن عثمان بن إبراهيم الحجبى (بمقام ابراهيم) فمسح به كما نزلها الرشيد) وكان آخر من حج من الخلفاء من بغداد[7] . وقد حاول (شيبة بن عثمان) أن يشترى (دار الندوة) بالشفعة بحكم الجوار والقرابة من صاحبها أبى الرهين العبدرى ، لولا دهاء الخليفة معاوية الذى سبقه إلى

(١) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٢.

- الفاكهى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٩٨٧.

(٢) الفاكهى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٢٩١.

(٣) الكردى : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م ، جـ١ ، ص ٧٠ ، ٧٥.

(٤) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٥٢.

- الفاكهى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢١٢.

(٥) الكردى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٦٧.

(٦) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢١١.

(٧) ——— : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٢١١، ٢١٢

ابتياعها[1] ، كما كانت (دار شيبة) إلى جانب (دار الإمارة) فى مكة[2] ، ومن ثم كان (أمير مكة) على مقربة من (فاتح الكعبة وشيخ الحجبة).

لقد حدثت توسعات للمسجد الحرام فى العهود الإسلامية المختلفة ، و اضيفت إليه أراضى الدور التى كانت تحيط به ، ومنها (دار أبى طلحة) (دار شيبة) ، والتى كانت بخيف الكعبة .

وتسكت المصادر قرونا عشرة لاتشير إلى (دار المفتاح) ، ولا إلى أين انتقلت ؟ وإن كان الظن أن تكون على مقربة من الكعبة .

حتى إذا كانت أحداث السيل العظيم الذى أصاب مكة فى شعبان سنة ١٠٣٩ هـ ودخول الماء من باب الكعبة ووصوله إلى نصف جدارها ، وسقوط درجة السطح ، ثم جدار الكعبة و اضطرار أمير مكة والأعيان والعلماء ، وفاتح الكعبة محمد بن أبى القاسم الشيبى إلى إخرج ما فيها من قناديل الذهب ، ورفعوا الميزاب ، ثم وضعوا كل ذلك ه فى دار فاتح البيت الحرام بالسنا (٣) .

ومن ثم فإن دار شيخ السدنة ، كانت على مقربة من الكعبة .

(١) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١١٠ ، ٢١١ ، دار الندوة مجاورة ولاصقه فى دار شيبة ، وكان صاحبها هو ابو الرهين العبدرى من بنى عبدالدار عشيرة شيبة . (الأزرقى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٢١٠ ، ٢١١).

(٢) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٣) الكردى : المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ١٤٩

٧- مفتاح الكعبة :

مفتاح الكعبة المشرفة له صاحب ، وصاحبه هو شيخ السدنة وكبير الشيبيين ، وهو "صاحب مفتاح الكعبة المشرفة"[١] واولى مهامه هو فتح باب الكعبة وإغلاقه[٢].

ومفتاح الكعبة يفتح قفلاً ، والقفل تابع لباب الكعبة ، وباب الكعبة قبل بناء ابن الزبير كان مصراعاً واحداً ، فجعله ابن الزبير مصراعين[٣] ووضع عليه قفلاً كان يضرب فى عروتين (حلقتين)[٤]، وجعل مفاتيح الكعبة من ذهب[٥].

اتخذ مفتاح الكعبة وقفلها أشكالاً مختلفة على امتداد الفترة التى نؤرخ فيها لسدنة الكعبة أصحاب المفتاح . كما تنوعت المواد التى صنعت منها اقفال الكعبة ومفاتيحها ، فالقفل الذى كان بباب الكعبة زمن النبى ﷺ ، اثناء سدانة عثمان بن طلحة ومن بعده شيبة كان عبارة عن قفل من الخشب (ضبة)[٦] والباب مصراع واحد ، غير اننا لا نعرف المادة التى صنع منها المفتاح الذى كان بيد السدنة آنذاك ، ولا ندرى هل كان تجديد القفل تابعاً لتجديد باب الكعبة ام لا؟

---

(١) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص ٢٦٥.

(٢) الدهلوى : المصدر السابق ، ورقة ٢.

(٣) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٠٩.

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ، ترجمة احمد خالد البدلى ، الطبعة الأولى ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، السعودية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص١٥٠، ١٥٢.

(٥) الماوردى : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، الطبعة الأولى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣ ، ص ٥٩.

- ابن فهد : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٧ .

ففى متحف (طوب قابى) باستانبول اجزاء من قفل للكعبة ، يرجع تاريخه إلى القرنين الثانى والثالث من الهجرة ، صنع من الخشب (ضبة)[١] ، وقد غُطى جسر الربط الرئيسى لهذا القفل بالرصاص الذى تزينه كتابة خفيفة البروز موزعة علي ثمانية اسطر وترتيب كلماتها :

١- لا إلــــه

٢- إلا اللــــه

٣- محمــــد

٤- رســــول

٥- اللــــه

٦- صلى الله

٧- علــــيه

٨- وسلــــم

والأسنان الموجودة فى جوف القفل المشار إليه صنعت من حديد[٢] ، ومن ثم لابد أن مفتاح هذا القفل قد صنع من المعدن ، ويذكر (الماوردى) ان (ابن الزبير) قد جعل مفاتيح الكعبة من الذهب[٣] . ويبدو انه أول من صنع للكعبة مفتاحاً من الذهب ، وكان يعاصره فى مشيخة السدنة صاحبه وصاحب مفتاحها (جبير بن شيبة) الحجبى[٤].

على أن الحجبة تسلموا فى موسم سنة ٢١٩هـ/٨٣٤م ، أول قفل من الذهب صنع للكعبة أرسله إليهم الخليفة المعتصم بالله ، مع طاهر عبدالله بن طاهر على راس وفد إلى مكة فيه الإمام الحافظ

---

(١) طرجان يلماز : اقفال ومفاتيح الكعبة المشرفة عبر مختلف العصور الاسلامية ، مقال بمجلة البنك الأهلى التجارى (السعودى) ، جدة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٢١.

(٢) ———— : نفس المرجع ، ص ٢١.

(٣) الماوردى : المصدر السابق ، ص٥٩.

(٤) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٧٧.

ابو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوى (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م) الذى سجل فى مصنفه (المعرفة والتاريخ) أن الحجبة رفضوا أن يضعوا القفل الجديد على باب الكعبة ، وفضلوا عايه القفل القديم الموجود على بابها . وحجتهم فى ذلك انه «قفل رسول الله ﷺ»(١) ، وكانت منازعة « حتى اصطلحوا على أن يقفل على الباب بقفلين ؛ القديم ، والذى قدموا به»(٢) . يعنى هذا أن القفل الذى كان بباب الكعبة حتى اواخر القرن الثالث الهجرى كان هو نفس القفل الذى كان على بابها فى عهد النبى ﷺ عند فتح مكة .

ولما كانت هذه هى أول مرة يقفل على الكعبة بقفلين على غير ماجرت به عادة السدنة ، مع ماسبق من إجبارهم على استلام القفل الجديد ، ثم رغبة والى مكة (صالح بن على) - فيما ذكره الفاكهى- فى أن ياخذ القفل القديم الموجود على باب الكعبة ويرسل به الخليفة المعتصم(٣) ، وذلك على غير ما يرغب السدنة ، ولم تجر به عادة أصحاب المفتاح. وعلى حد رواية (الفسوى) الذى كان مع الوفد القادم بالقفل فقد "خرجت الحجبة إلى الخليفة ، فطلبوا إليه ، وقالوا : هذا قفل رسول الله ﷺ . فامر برفع القفل الذى كان بعث به . وأن يرد عليها القفل الأول ، ووهب لهم القفل (الجديد) واجازهم الجوائز القيمة"(٤) ، وتذكر بعض المصادر أن القفل كان من ذهب

---

(١) الفسوى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٠٢.

(٢) ـــــــ : نفس المصدر والصفحة .

(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص١١٧.

- ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢٨٩ ، ٢٩٠.

(٤) الفسوى : المصدر السابق ، ص ٢٠٣.

مصمت(١) ، وانه زنة الف مثقال(٢) . وهو ما يعادل الف دينار(٣).

ومرة اخرى لم تكن هذه هى المرة الأولى يؤتى إلى الكعبة بقفل من ذهب ، إذ يذكر ابن عبدربه (ت٣٢٧هـ/ ٩٢٨م) فى (العقد الفريد) أن باب الكعبة كان له عروتان "يضرب فيها قفل من ذهب"(٤) ، ولكنه لم يذكر متى وضع هذا القفل او متى امر بصيغه ، غير أن ناصر خسرو الذى حج إلى بيت الله الحرام فى سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥١م ، ذكر أن القفل الذى عاينه على باب الكعبة - وقد دخلها- "قفل فضى"(٥) ، كما ذكر صاحب (كتاب الإستبصار) وهو من كتاب القرن السادس الهجرى أن "قفل الباب من نحاس اصفر مذهب ، بعضه قد انكشف وبقى بعضه مذهباً ، وهو حديد مكسو بالفضة ، وطول القفل شبر"(٦).

وعلى أيه حال ليس بين مفاتيح الكعبة التى كانت بيد الشيبيين ، والتى احتفظت بعض المتاحف بعدد منها ، ما يؤكد إلى أن بعضها قد صنع من الذهب. فالمفاتيح المحفوظة فى متحف (طوب قانى) باستانبول بعضها من الحديد ، واكثرها قد صنع من النحاس الأصفر.

فالمفتاح الذى كلف بعمله (الياس بن يوسف بن أحمد) المكى سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م قد صنع من الحديد، وطوله ٣٥٫٥سم ، وتنتشر على الأرضية الحديدية التى صنع منها هذا المفتاح ، الكتابات المكفتة

---

(١) الفسوى : نفس المصدر ، والصفحة.

(٢) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢٩٠.

(٣) الأسدى : إخبار الكرام باخبار المسجد الحرام ، تحقيق غلام مصطفى، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م ، ص١٦٨.

(٤) ابن عبدربه : العقد الفريد ، جـ٧ ، ص٢٨٤.

(٥) ناصر خسرو : المصدر السابق ، ص١٥٠.

(٦) كاتب مراكشى مجهول : كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨٥م، ص١٦، ٦٧.

ضة والذهب ، وهى موزعة داخل إطارات (كالخرطوشات) ، ى الوجه (أ) : فاتحة الكتاب ، ثم سورة الإخلاص ، ثم عبارة (هذا تاح كعبة الله شرفه الله) وعلى رقبة المفتاح (نصر من الله وفتح ب).

اما الوجه الآخر (ب) فتظهر عليه وعلى امتداد بدن المفتاح (آية الكرسي) داخل ثمانية إطارات (خرطوشات) موزعة على سطرين ، فيما بين بدن المفتاح ورقبته مربع ، لم ينس الصانع ان يحفر فيه اسمه تبركاً فكتب عبارة (عمل إلياس بن يوسف بن احمد المكى) ، وتحته مربع آخر ارخ فيه للسنة التى عمل فيها هذا المفتاح وهى (سنة خمس وخمسون وخمسمائة) من الهجرة. ثم نجد على رقبة المفتاح وقبل الحلقة عبارة (لا إله إلا الله) ، والكتابات التى على المفتاح مكفتة بالذهب والفضة ، وقد خصص الذهب للآيات القرآنية، كما نلاحظ وجود زخارف نباتية داخل تقسيمات هندسية على رأس المفتاح الذى توجد به الحلقة ، كذلك توجد كلمات دعائية مثل : (يَاديَّان) ، (يَامنَّان) (يَاسُبْحاَن) ، محفورة على الجزء الذى يمثل قدم المفتاح والذى يتم به فتح القفل[1]. وهذا المفتاح كان فى أيام سدانة عبدالرحمن بن ديلم الشيبى شيخ الحجبة وصاحب مفتاح الكعبة المتوفى سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م[2].

اما المفتاح الثانى الذى صنعه لقفل الكعبة الصانع (إلياس بن يوسف بن احمد المكى) فقد كان فى رمضان سنة ٥٧٦هـ / ١١٨١م وكان مصنوعاً من النحاس الأصفر ، وطوله ٣٧سم ، وعليه كتابات

(١) طرجان يلماز : المرجع السابق ، ص ٢٢.
(٢) الفاسى : العقد الثمين ، جـ٥ ، ص٣٥١.
- ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٥٢١.

مكفتة بالفضة ، تملأ وجهى البدن فقط ، اما الأجزاء الأخرى (الرقبة والراس والحلقة) فتزينها تعبيرات هندسية ونباتية ، وحفر فيه عبارة (عمل هذا المفتاح فى أيام دولت الخليفة الناصر سيف الدين امير المؤمنين)[1] ابو العباس احمد العباسى (٥٧٥هـ - ٦٢٢هـ/ ١١٨٠ - ١٢٢٥م)[2].

والوجه الأول من بدن المفتاح به كتابات من آيات سورة (آل عمران) تبدأ من اول : ﴿ إن أول بيت وضع للناس ﴾[3] إلى قوله تعالى ﴿ومن دخله كان آمنا﴾[4] . وعلى الوجه الثانى قوله تعالى : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾[5] ، ثم اسم الخليفة وتاريخ عمل المفتاح ، ثم نقشت على فقرة الرقبة اسم رسول الله ﷺ وأسماء الخلفاء الراشدين ، كما جاءت بطرف المفتاح - وهو الجزء الذى يتم به فتح القفل - عبارة (لا إله إلا الله)[6]. ويلاحظ على زخارف هذا المفتاح ضَعْف أسلوب الخط ، وعدم دقة توزيع الكلمات على المساحات المقررة[7].

وهذا المفتاح صنع فى أيام (صاحب حجابة البيت) محمد بن اسماعيل بن عبدالرحمن الحجبى[8] ، (زعيم الشيبيين)[9] ، والذى

(١) طرجان يلماز : المرجع السابق ، ص٢٣.
وقد كتبنا (دولت) بالتاء المفتوحة حرصاً منا على نقل رسم النص المدون كما هو .
(٢) ابن دقماق : المصدر السابق ، ص٢١٤ ، ٢١٥.
(٣) سورة آل عمران : آية ٩٦ ، ٩٧ .
(٤) سورة آل عمران ، آية ٩٧.
(٥) سورة آل عمران : آية ١٩٧.
(٦) طرجان يلماز : المرجع السابق ، ص ٢٣.
(٧) ——— : نفس المصدر ، والصفحة.
(٨) ابن جبير : المصدر السابق ، ص٥٩.
(٩) ——— : نفس المصدر، والصفحة .

كان بيده مفتاح القفل المبارك.(١) وهو كهل جميل الهيئة والشارة(٢) على حد قول ابن جبير الذى التقى به فى موسم حج سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٤م ، والذى استقى منه ابن جبير بعض أخبار "المسجد الحرام والبيت العتيق.(٣) و (باب البيت الكريم)(٤) الذى صنع له هذا المفتاح(٥).

وإذا كان هناك عدد من مفاتيح الكعبة قد صنع من النحاس الأصفر المكفت بالفضة ، كهذا الذى عمل فى عهد الخليفة المستنصر بالله العباسى (٦٥٩-٦٦٠هـ/١٢٦٠-١٢٦١م)(٦) أو ذاك المفتاح الذى أمر بصنعه السلطان الملك الناصر حسن بن محمد سنة ٧٥٥هـ /١٣٥٤م فإن أهم هذه المفاتيح من وجهة نظرنا ومن أجملها ذلك المفتاح الذى أمر بصنعه شيخ الحجبة (فاتح بيت الله الحرام)، وصاحب مفتاح الكعبة غانم الشيبى (ت ٧٤٣هـ /١١٤٣م).

فلأول مرة نجد مفتاحاً للكعبة يحمل اسم شيخ من رؤساء السدنة الشيبيين أصحاب مفتاح الكعبة ، الذى لا يجوز أن ينازعهم فيه أحد .

---

(١) ابن جبير : المصدرالسابق ، ص ٧٠.

(٢) ——— : نفس المصدر ، والصفحة .

(٣) ——— : نفس المصدر ، ص ٥٩.

(٤) ——— : نفس المصدر ، ص ٦٠.

(٥) كان قفل الباب من نحاس احمر مذهب ، بعضه قد انكشف وبقى بعضه مذهباً ، وهو اليوم حديد مكسو بالفضه ، طول القفل شبر (كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ص١٦ ,١٧).

(٦) هو ابو العباس احمد بن الخليفة الظاهر بالله العباسى ، وقد جاء إلى مصر فرار من التتر ، وقد بويع له بالخلافة فى شهر رجب سنة ٦٥٩هـ فى حضور السلطان الملك الظاهر بيبرس، وقد قتل فى المحرم سنة ٦٦٠هـ وهو يقاتل التتر قرب الأنبار على نهر الفرات (ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين ، تحقيق محمد كمال عز الدين ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٢٢٤-٢٢٨).

والمفتاح مصنوع من النحاس الأصفر المكفت بالفضة وطوله ٣٦سم وعليه زخارف من أوراق نباتية وفروع ملتوية وحبيبات موزعة على بدن المفتاح والرقبة والراس ، والبدن مشقوق من وسطه إلى قرب نهايته ، ويختلف بهذا فى شكله عن بقية المفاتيح(١).

وقد جاء على الوجه الأول من بدن المفتاح الآيات الأولى من سورة الفتح (١-٣) ، ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نظراً عزيزاً**﴾(٢) ، ثم عبارة (صدق الله العظيم ورسوله) ، أما الوجه الثانى من بدن المفتاح فقد كتب فى السطر الأول (نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين يا محمد ، لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، وفى السطر الثانى حفر اسم شيخ الحجبة وفاتح الكعبة عبارة (هذا ما أمر بعمله الشيخ الكبير المحترم غانم الشيبى (فاتح بيت الله الحرام)(٣) وهو صاحب مفتاح الكعبة وشيخ السدنة المتوفى فى رمضان سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م(٤).

ولا يحمل المفتاح تاريخ صناعته او اسم الصانع الذى قام بعمله.

لقد كان لسدنة الكعبة دور فى إبقاء قفل الكعبة عليها او تركيب آخر وفقاً لصلاحيته او اهميته ، وذلك عند تركيب باب جديد للكعبة أو عند وضع قفل مكان آخر . فهم أصحاب المفتاح.

وقد رأينا انهم رفضوا تركيب قفلين على باب الكعبة ، كما رفضوا تركيب القفل الذهب الذى أرسله الخليفة المعتصم فى موسم

---

(١) طرجان يلماز : المرجع السابق ، ص ٢٤.

(٢) سورة الفتح ؛ الآية ١-٣.

(٣) طرجان يلماز : المرجع السابق ، ص٢٤.

(٤) الفاسى : العقد الثمين ، جـ٧ ، ص٥.

سنة ٢١٩هـ وحجتهم ان القفل الذى على باب الكعبة آنذاك هو قفل رسول الله ﷺ(١).

كما أنهم عندما ارسل السلطان الناصر محمد بن قلاون سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م باباً للكعبة غير الذى كان عليها ، اخذوا الباب القديم ، وكانت حليته ستين رطلاً من الفضة وقسموها بينهم(٢) ، ولكنهم ابقوا على القفل الذى كان على الباب القديم ووضعوه على الباب الجديد(٣) .

ومما يجدر ذكره انه طوال الفترة التى نؤرخ لها لم يحاول احد من حكام الأسر الحاكمة فى الدولة الإسلامية مهما علت مكانته وقوى نفوذه ، ان ينزع مفتاح الكعبة من أصحابه السدنة الشيبيين ، أو ان يقدم بنفسه على فتح باب الكعبة ، ففى الحديث " لا ينزعها من أيديكم إلا ظالم"(٤) ، وهو ما كان يتحاشاه كل من كان له ولاية على المدينة المقدسة .

ففى المرة الوحيدة التى اخذ فيها الأمير مكثر امير مكة(٥) ، مفتاح الكعبة واغلق بابها - فى أيام رئاسة محمد بن إسماعيل بن عبدالرحمن الشيبى لمشيخة السدنة- ثم صعد إلى جبل أبى قبيس ،

---

(١) الفسوى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٠٣.
- ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢٩٠.
(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص ١٠٣، ١٠٤.
- المقريزى : السلوك ، ق ٢ ، جـ٢ ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٣.
(٣) الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحاج ، تحقيق ليلى عبداللطيف احمد ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ١٢٣.
(٤) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١١١.
- المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص ٥٠٤.
(٥) هو مكثر بن عيسى بن فليته الحسنى الهاشمى المكى ، ولى امرة مكة فى سنة ٥٧١هـ ، وكان يتداول امرتها هو واخوه داود بن عيسى ، وقد توفى مكثر فى سنة ٦٠٠هـ. (عبدالعزيز بن فهد : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٢٨ -٥٤٤).

وذلك فراراً من قبضة سيف الإسلام طغتكين اخى صلاح الدين ، الذى دخل مكة فى رمضان سنة ٥٨١هـ (١١٨٥م) ، سأل الأخير شيخ السدنة أن يطالب الأمير مكثر بمفتاح الكعبة ، وإلا عُدَّ ذلك تفريطاً من بنى شيبة ، كما أرسل (سيف الإسلام) إلى الأمير (مكثر) يعظه ويتهدده بقوله : " إن الله قد نهانا عن اشياء فارتكبناها ، وقال النبى ﷺ : « لا تأخذوا المفتاح من بنى شيبة ، فناخذه ونستغفر الله » فكان أن أعاد الأمير مكثر المفتاح إلى السدنة(١).

" والحقيقة أن حكم الله عز وجل فى وضع مفتاح بيته الحرام فى بنى شيبة هو الصواب والحكمة ، وذلك حتى لا يحصل نزاع وشقاق بين المسلمين ، فلا يطمع فيه سلطان ولا ملك ولا امير ولا عالم ولا صالح ولا غنى ولا فقير ، ومادام البيت بيت الله فصاحب البيت يضع مفتاحه حيث شاء"(٢).

ولكن متي كان السدنة الشيبيون يفتحون باب الكعبة؟ وما رسومهم عند فتحها؟

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، جـ٥ ، ص٦٢ ، ٦٣.
- ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٥٢ ، ٥٥٤.
- عبدالعزيز بن فهد : غاية المرام ، جـ١ ، ص ٥٤٩.
(٢) الكردى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٦٠.

المبحث الثاني
الحجبة (السدنة) وفتح الكعبة

١- السدنة وفتح الكعبة فى الجاهلية.

٢- السدنة وفتح الكعبة فتحاً عاماً في الإسلام وحتى منتصف القرن الخامس الهجرى.

أ- وقت فتح الكعبة فتحاً عاماً.

ب- مراسم فتح الكعبة كعادة السدنة الشيبيين كما رآها ناصر خسرو (العصر الفاطمى) .

٣- السدنة وفتح الكعبة فتحاً عاماً فى (العصر الايوبى)

أ- أوقات فتح الكعبة (فتحاً عاماً)

ب-مراسم فتح الكعبة (فتحاً عاماً) كعادة السدنــة كما رآها ابن جبير.

جـ- الشيبيون يفردون يومالتاسع و العشرين من رجب لدخول النساء الكعبة.

٤- السدنة وفتح الكعبة فتحاً عاماً في العصر المملوكى.

أ- اوقات فتح الكعبة.

ب- مراسم فتح الكعبة كعادة السدنة كما رآها التجيبى السبتى (فى الدولة المملوكية الأولى)

٥- السدنة وفتح الكعبة على سبيل الخصوصية.

أ- الشيبيون وفتح الكعبة لولاة أمر المسلمين.

ب- مراسم استقبال السدنة (لأمير ايوبى) يدخل الكعبة.

٦- السدنة وفتح الكعبة فى بعض المواسم المكية وعند الضرورة.

أ- فى (المولد النبوى)

ب- فى (عيد رمضان) (عيد الفطر)

جـ- عند الاجتماع (لصلاة الاستسقاء)

١- السدنة وفتح الكعبة فى الجاهلية.

تعددت روايات فتح الكعبة فى الجاهلية بتعدد رواتها ومصادرها، ففى تاريخ الأزرقى عن سعيد بن عمرو الهذلى عن أبيه قال : "رأيتُ قريشا يفتحون الكعبة يوم الاثنين والخميس"[١] وذكر الفاكهى فى كتابه (أخبار مكة) ، أن الكعبة كانت تفتح فى الجاهلية فى يوم الاثنين ويوم الجمعة ، فقد روى بإسناد فيه سعيد بن عمرو الهذلى عن أبيه قوله : "رأيت قريشا يفتحون البيت يوم الاثنين ويوم الجمعة"[٢].

أما ابن الجوزى والمحب الطبرى فيرويان بإسناد إلى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة الحجبى سادن الكعبة فى الجاهلية -قوله:

"كنا نفتح الكعبة يوم الاثنين ويوم الخميس"[٣] على أن مؤرخى مكة والبيت الحرام - استناداً إلى مصادرهم- ذكروا أن الحجبة كانوا يفتحون باب الكعبة لدخول الناس فى أيام الجاهلية الاثنين والخميس[٤] وكذا يوم الجمعة[٥].

---

(١) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٧٤.

(٢) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص٢٢٢.

(٣) ابن الجوزى : مثير العزم الساكن إلى اشرف الأماكن ، تحقيق مرزوق على إبراهيم ، الطبعة الأولى ، دار الراية ، الرياض ، ١٤١٥ هـ/١٩٩٥م ، جـ١ ، ص ٣٦٤.

- المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص ٤٦٠.

(٤) الأسفرايينى : زيدة الأعمال ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة ، ص ٥٩.

- ابن ظهيرة : الجامع اللطيف فى فضل مكة واهلها وبناء البيت الشريف ، الطبعة الثانية ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ/١٩٣٨م ، ص٧٥ .

(٥) المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص٥٠٢ .

- عبدالقادر الطبرى : المصدر السابق ، ص١٥٦ .

وكان الحجبة (بنى ابى طلحة) يقفون بباب الكعبة وفى الحديث "ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا ، من شاءوا"[١] ، ولقد اعترض عثمان بن طلحة سادن الكعبة قبل إسلامه ذات مرة رسول الله ﷺ عند دخوله الكعبة قبل هجرته عليه الصلاة والسلام[٢] ، كما كان من عادتهم المتعارف عليها انهم لا يفتحون الكعبة ليلاً[٣].

وفى الحديث قالت عائشة : يا رسول الله ، كل نسائك دخل البيت غيرى ، قال : "انطلقى إلى قرابتك شيبة يفتح لك الكعبة" ، فاتته ، فاتى النبى ﷺ ، فقال : والله ما فتِحَتْ بلَيل قط فى جاهلية ولا إسلام ، وإن امرتنى ان افتحها فتحتها . قال : لا"[٤].

---

(١) ابن الجوزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٥٦.
- ابن اسحق الخوارزمى : إثارة الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة ، جـ١ ، ص١٠٥.
(٢) ـــــــ : نفس المصدر ، ص ٥٠٤.
(٣) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص٢٢٢.
(٤) المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص ٥٠٧.

٢- السدنة وفتح الكعبة فتحاً عاماً فى الإسلام وحتى منتصف القرن الخامس الهجرى ،

أ- اوقات فتح الكعبة فتحاً عاماً :

اما عن اوقات فتح الكعبة المشرفة فتحاً عاماً فى الإسلام فلم يرد فيها امر شرعى وإنما هى عادة اصطلح عليها الشيبيون"[١].

كما لم تذكر اى من المصادر الإسلامية حتى حوالى منتصف القرن الخامس الهجرى ، متى كان الشيبيون يفتحون الكعبة للناس فتحاً عاماً ، حتى جاء ناصر خسرو واشار إلى ذلك وهو يسجل وقائع حجته الرابعة عام ٤٤٢هـ/١٠٥١م ، وكان قد جاور فى مكة من اول شهر رجب حتى غادر مكة فى يوم الجمعة التاسع عشر من شهر ذى الحجة سنة ٤٤٢هـ/(مايو ١٠٥١م)[٢] .

فذكر أن من عادة الشيبيين "أن يفتحوا باب الكعبة طوال شهر رجب ، وفى كل يوم مع مطلع الشمس"[٣] .

كما أشار إلى الأوقات التى كان الشيبيون يفتحون فيها باب الكعبة فى الفترة من شهر رجب إلى شهر ذى القعدة فتحاً عاماً للناس بقوله : "والقاعدة فى مكة المكرمة ان تفتح ابواب الكعبة فى منتصف شهر شعبان ، وكذلك فى منتصف شهر رمضان ، اما فى شهر شوال فتفتح ايام الاثنين والخميس والجمعة ، فإذا أهلَّ شهر ذى القعدة امتنعوا عن فتح الباب المقدس مطلقاً"[٤] .

---

(١) الكردى : المرجع السابق ، جـ٥ ، ص٧٥.
(٢) ناصر خسرو : المصدر السابق ، ص١٢٦ ، ١٥٣.
(٣) ـــــــ : المصدر نفسه ، ص١٥٣.
(٤) ـــــــ : المصدر السابق ، ص١٥٥.

ب- مراسم فتح الكعبة فتحاً عاماً كعادة السدنة الشيبيين كما رآها ناصر خسرو (العصر الفاطمى) :

ثم يشير ناصر خسرو إلى الخطوات التى يقوم بها الشيبيون عند فتح الكعبة ، ويقدم وصفاً دقيقاً (لمراسم فتح الكعبة المعظمة على يد السدنة الشيبيين) فى عصره فيقول :

- " مفتاح بـاب الكعبة فى يد الشيبيين الذين إليهم سدانة البيت .... ".

- " فإذا أرادوا فتح باب الكعبة تقدم زعيم الشيبيين يرافقه ست نفر آخرون .... ".

- " فإذا وقف الزعيم (الشيبى) فى أسفل باب الكعبة أمر عشرة أنفار من الحجاج المتجمعين أمام الباب بجلب السلم الخشبى (الخاص بالكعبة) ".

- " فإذا جىء بالسلم صعد عليه زعيم الشيبيين ووقف على باب الكعبة يرافقه شخصان (من السدنة) ".

- فترفع الستارة الصفراء الحريرية (وهى ستارة باب الكعبة) ويمسك كل رجل من المرافقين طرفاً من أطراف الستارة ".

- " فيلج زعيم الشيبيين ويختفى تحت الستارة ، والمرافقان له كالحاجبَيْن ".

- " ثم يعالج (الزعيم الشيبى) قفل الباب حتى يفتحه ، وهو متوار خلف الستارة ، وهذه الحركة تثير فضول الناس ، وتلقى على المراسم جواً من الأبهة والجلال والغموض ".

- " فإذا أخرج الزعيم (الشيبى) القفل من حلقتيه ، فَتَحَ الباب على مصراعيه ، ويكثر الزحام على باب الكعبة ، ويزدحم الخلق حول الباب كل يؤمل فى الحظوة الإلهية ".

- " فإذا تم فتح الباب على مصراعيه ، ارتفعت الهتافات بالتهليل والتكبير تشق عنان السماء ، ويتردد صداها فى الجبال المحيطة بالحرم ".

- " وما أن يسمع سكان مكة التهليل والتكبير حتى يعلموا انه فتح باب الكعبة ، فيهجمون على الحرم من كل باب ، ويتجمهرون حول الكعبة وإنه لمشهدٌ وأيم الله جليل رهيب ".

- " ويظل ذانك الشخصان (الشيبيان) يمسكان بطرف الستارة ويبسطانها إلى غاية مداها ".

- " ثم يدخل زعيم الشيبيين إلى داخل الكعبة حيث تبدأ مراسم الافتتاح باداء ركعتين .

- " ثم يخرج (الزعيم الشيبى) ويقف على عتبة الكعبة ، ويلقى خطبة بصوت عالٍ يبدؤها ببسم الله والصلاة على رسول الله وآل بيته الطيبين الطاهرين ".

- ثم يتنحى الزعيم (الشيبى) ويقف إلى جانب رفيقيه (من السدنة) ، ويفسح المجال للحجاج بدخول الكعبة المشرفة.

- وهكذا تظل أفواج الحجيج تدخل إلى جوف الكعبة وتخرج ، ويتلوها فوج آخر وهكذا إلى منتصف النهار[1] ، ولقد احصى ناصر

(١) ناصر خسرو : المصدر السابق ، ص ١٥٢، ١٥٤.

خسرو "عدد الذين دخلوا الكعبة فى نصف نهار واحد فإذا هم قرابة ثمانمائة وعشرين رجلاً (١) .

هذا ولم يذكر ناصر خسرو الأوقات الأخرى التى كان الشيبيون يفتحون فيها الكعبة لكسوتها أو تشميرها ، أو غسلها . ولم يتكلم عن المواسم والأيام التى كان يفتح فيها الشيبيون باب الكعبة المعظمة فتحاً عاماً للناس فى غير الأيام والشهور التى ذكرها ، ولا تثريب عليه ، وله العذر فى ذلك ، فهو يسجل فى (كتاب السفر) (سفر نامه) ما شهده بنفسه ، أثناء المرات التى جاور فيها بمكة وبخاصة إبان حجته الرابعة التى وصل فيها مكة فى سلخ جمادى الآخرة سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥١م) ، وغادرها فى ١٩ذى الحجة من نفس السنة .

وأما الأوقات التى كان يفتح فيها الشيبيون باب الكعبة للناس فتحاً عاماً أو فى الاحتفالات والمواسم المكية خلال الفترة من المحرم إلى آخر جمادى الآخرة من هذه السنة فإنه (أى ناصر خسرو) لم يكن قد وصل بعد إلى المدينة المقدسة(٢).

ومع هذا يظل لناصر خسرو - الرحالة الفارسى والداعية الشيعى - فضل السبق كأول مصدر إسلامى يسجل لنا مراسم فتح الكعبة المشرفة على يد السدنة الشيبيين حجبة بيت الله الحرام ، كما سجل لنا مراسمهم كعادتهم عند فتح الكعبة فى شهر رجب من كل عام(٣).

---

(١) ناصر خسرو : نفس المصدر ، ص١٥٤.

(٢) فى الحجة الأولى وصل ناصرى خسرو مكة فى أواخر ذى القعدة سنة ٤٣٨هـ ، وفى الثانية وصلها فى السادس من ذى الحجة سنة ٤٣٩هـ ، وفى الحجة الثالثة وصل مكة فى الثامن من ذى الحجة سنة ٤٤٠هـ ، أما الحجة الرابعة فقد وصلها فى سلخ جمادى الآخرة سنة ٤٤٢هـ (ناصر خسرو : سفر نامه ، ص٧٧ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٣٦ ، ١٦١.

(٣) ناصر خسرو : المصدر السابق ، ص١٥٢ -١٥٥.

٣- السدنة وفتح الكعبة فتحاً عاماً فى (العصر الأيوبى).

أ- أوقات فتح الكعبة فتحاً عاماً :

لا نستطيع أن نقدم جديداً أو مزيداً من التفاصيل حول الأوقات التى كان الشيبيون يفتحون فيها باب الكعبة المعظمة سواء كان فتحاً عاماً للناس ، أو فتحها فى المناسبات ، وذلك فى الفترة من ٤٤٢هـ/١٠٥١م إلى سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م لإنعدام المصادر حول هذا الموضوع ، حتى جاء الرحالة الأندلسى الثقة صاحب (رسالة الناسك) ، وقدم لنا المزيد والجديد من التفاصيل عن الأوقات والمناسبات التى كان الشيبيون يفتحون فيها باب الكعبة فى عصره ، وذلك من خلال مشاهداته لما يحدث فى مكة عندما جاءها حاجاً إلى بيت الله الحرام ، فوصلها فى الثالث عشر من ربيع الآخر سنة ٥٧٩هـ / الرابع من اغسطس سنة ١١٨٣م(١) ، ومجاورته بمكة مدة «ثمانية أشهر وثلث شهر» التى هى بحسب الزائد والناقص من الأشهر مائتا يوم اثنان وخمسة واربعون يوماً سعيدات مباركات" على حد قوله(٢).

فيذكر ابن جبير أن السدنة الشيبيين فى تلك السنة كانوا يفتحون باب الكعبة فتحاً عاماً لدخول الناس "كل يوم اثنين وجمعة إلا فى رجب فإنه يفتح كل يوم"(٣) ، كما كان السدنة فى أيام الموسم

---

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ٥٨.

(٢) ——— : نفس المصدر ، ص ١٦١.

(٣) ——— : نفس المصدر ، ص ٧٠.

يفتحون "البيت الكريم كل يوم للعراقيين والخراسانيين وسواهم من الواصلين مع الأمير العراقى"(١) ، ومعنى ذلك أن الحجبة كانوا يفتحون الكعبة فى زمن ابن جبير بعد الحج لأن الحجاج العراقيين ما يصلون غالباً إلا موافين ليوم عرفة"(٢).

(١) ابن جبير : نفس المصدر ، ص ١٥٣ .

(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص١٢٩.

ب- مراسم فتح الكعبة (فتحاً عاماً) كعادة السدنة كما رآها ابن جبير :

ثم يتناول ابن جبير عادة السدنة الشيبيين عند قيامهم بفتح "الباب الكريم" فتحاً عاماً ، ويقدم وصفاً دقيقاً لمراسم فتح الكعبة على يد حجبة الكعبة المشرفة كما رآها فى أيام شهر رجب سنة ٥٧٩ هـ فيقول : " ...

البيت الكريم يفتح كل يوم فى هذا الشهر المبارك"(١).

- "وفتْحُه أولَ بزوغ الشمس".

- يُقْبِل سَدَنَةُ البيت الشيبيون .

- فيبادر منهم مَن ينقُل كرسيّاً كبيراً شبه المنبر الواسع (سُلَّم) له تسعة أدراج مستطيلة ... ، حتى يصل إلى البيت الكريم ، فيقع درجه الأعلى متصلاً بالعتبة المباركة من الباب.

- فيصعد زعيم الشيبيين إليه (وهو آنذاك محمد بن إسماعيل بن عبدالرحمن الشيبى) ، وهو كهل جميل الهيئة والشارة ، وبيده مفتاح القفل المبارك .

- ومعه من السَّدَنة من يمسك فى يده ستراً أسود يفتح (يثنى) يديه به أمام الباب خلالَ ما يفتحه الزعيم الشيبى المذكور.

- فإذا فَتَح (الزعيم الشيبى محمد بن إسماعيل) القفل قَبَّلَ العتبة ،

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص٧٠ .

- الشارة : الهيئة واللباس.

- ثم دخل البيت وَحْدَهُ ، وسُدَّ الباب خلفه ،
- وقام قدرَ ما يركع ركعتين ،
- ثم يدخل الشيبيون ويسدُّون الباب أيضاً ويركعون ،
- ثم يفتح الباب ...
- .... وإذا انفتح الباب كبَّر الناس ، وعلا ضجيجهم ، ونادوا بألسنة مستهلة : «اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ومغفرتك ، يا أرحم الراحمين ،
- ثم دخلوا بسلام آمنين »[1] .

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ٧٠ .

جـ- الشيبيون يفردون يوم ٢٩ من رجب لدخول النساء الكعبة المشرفة:

ويواصل السدنة الشيبيون فتح باب الكعبة المعظمة فتحاً عاماً للرجال على ما جرت به عادتهم طوال هذا الشهر ، غير انهم خصصوا اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب من كل عام يوماً لدخول النساء خاصة دون الرجال يقول ابن جبير : "فإذا كان يوم التاسع والعشرين منه ، أفرد البيت للنساء خاصة ، فاجتمعن من كل أوب ، ولم تبق امراة بمكة إلا حضرت المسجد الحرام ذلك اليوم[1] فهن يرتقبنه ارتقاب أشرف الأعياد ، ويكثرن له من التاهب والاستعداد"[2] .

وبدات مراسم هذا اليوم (يوم الخميس التاسع والعشرين من رجب سنة ٥٧٩هـ " بوصول الشيبيين إلى الحرم ، يقول ابن جبير :

" فلما وصل الشيبيون لفتح البيت الكريم ، على العادة ، وأسرعوا فى الخروج منه وافرجوا للنساء عنه ،

- وافرج الناسُ لهن عن الطواف وعن الحَجَر ، ولم يبق حول البيت المبارك احد من الرجال ،
- تبادر النساء إلى الصعود ،
- حتى كاد الشيبيون لا يخلصون بينهن عند هبوطهم من البيت الكريم،

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١١٥.

(٢) ــــــ : نفس المصدر ، ص١١٦.

– وتسلسل النساء بعضهن ببعض ، وتشابكن حتى تواقعن ، فمن صائحة ، ومعولة ، ومكبرة ، ومهللة ، وظهر تزاحمهن ..

– وتمادين على ذلك صدراً من النهار .. وكان ذلك اليوم عندهن الأكبر ، ويومهن الأزهر الأشهر ... نفعهن الله به وجعله خالصاً لكريم وجهه"[1] .

الشيبيون يفتحون البيت العتيق لغسله بماء زمزم :–

ففى اليوم الثانى (التالى) لدخول النساء وهو يوم الجمعة الموافق للثلاثين من رجب سنة ٥٧٩هـ يقول ابن جبير : " بكر الشيبيون إلى غسله بماء زمزم المبارك ، بسبب أن كثيراً من النساء أدخلن أبناءهن الصغار والرضع معهن ، فيتحرى غسله تكريماً وتنزيهاً لما يحيك فى النفوس من هواجس الظنون في من ليست له ملكة عقلية تمنعه من أن تصدر عنه حادثة نجس فى ذلك الموطن الكريم والمحل المخصوص بالتقديس والتعظيم"[2] .

---

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص١١٦.

(٢) ——— : نفس المصدر و الصفحة .

٤– السدنة وفتح الكعبة فتحاً عاماً فى العصر المملوكى:

أ– أوقات فتح الكعبة :

إذا سألت التجيبى السبتى – الذى حج فى موسم سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٧م – أى بعد اربعين سنة من قيام الدولة المملوكية الأولى – متى كان يفتح الشيبيون الباب المكرم للبيت العتيق فتحاً عاماً؟ فإن اجابته جاءت فى كتابه (مستفاد الرحلة) "إن الشيبيين الآن لا يفتحون البيت إلا مرة واحدة فى الجمعة"[1].

اما فى عصر الفاسى (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م) –أى فى الدولة المملوكية الثانية – فقد استمر السدنة يفتحون الكعبة فتحاً عاماً يوم الجمعة كعادة الشيبيين ، وتركوا فتحها يوم الاثنين ، وإلى ذلك اشار الفاسى بقوله : " وفتحها يوم الجمعة مستمر إلى الآن ، وفتحها يوم الاثنين متروك"[2].

إلا انه يذكر انهم فتحوا الكعبة يوم الاثنين من شهور رمضان وشوال وذى القعدة من سنة ٨٠١هـ (١٣٩٩م) وقد خصصوه لدخول النساء " لأمر أوجب ذلك"[3] ، ولكنه لم يذكر هذا الأمر.

هذا بالإضافة إلى يوم ٢٩ من رجب المخصص لدخول النساء الكعبة ، ولكنه أفاد انها تغسل فى اليوم نفسه بعد انتهاء دخولهن[4]، كما اشار إلى أن الحجبة كانوا يفتحون الكعبة فى بعض ليالى

---

(١) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص٢٥٧.

(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص ١٢٨.

(٣)——— : نفس المصدر ، والصفحة.

(٤)——— : نفس المصدر ، والصفحة.

الثماني الأول من ذى الحجة فى كل سنة ، وفى بعض هذه الأيام "لأجل البر الذى تأخذه الحجبة ممن يرغب فى دخولها ، ثم لا تفتح فتحاً عاماً إلا بعض انقضاء ذى الحجة فى أول جمعة من السنة التى تلى ذلك"[١] ، غير أن الناسى ذكر أن الحجبة فتحوها فى ذى الحجة بعد سفر الحجاج من مكة وقبل دخول سنة ٤١٥هـ ، ثم يقول : "وصنع مثل ذلك الحجبة فى سنة خمس عشرة (٨١٥هـ) وذلك للرغبة فى أخذ البر من الداخلين إليها"[٢].

(١) الفاسى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٢٨ .

(٢) ——— : نفس المصدر ، والصفحة .

ب- مراسم فتح الكعبة كعادة السدنة كما راها التجيبى السبتى (فى الدولة المملوكية الأولى) :

على انه بعد حوالى قرن من الزمان ياتى الرحالة الفقيه التجيبى السبتى الذى حج فى موسم ٦٩٦هـ/١٢٩٧م ، وينفرد بذكر ما يقوم به السدنة الشيبيون من مراسم عند فتح الكعبة المعظمة - فى كما جرت به عادتهم - فتحاً عاماً فى يوم الجمعة الحادى والعشرين من رمضان من نفس العام[١] ، بتقدمهم آنذاك زعيمهم المرموق أحمد بن ديلم الشيبى (ت ٧١٢هـ / ١٣١٢م) (شيخ الحجبة وفاتح الكعبة) (ناظر الحرم الشريف)[٢] ، يقول التجيبى :

- " ولما كان يوم الجمعة الحادى والعشرين لشهر رمضان المعظم من سنة ست المذكورة (سنة ٦٩٦هـ) عند طلوع الشمس ، وهى أول جمعة جمعناها بمكة ،

- قرب سدنة البيت الشريف ادراجه (السلم) حتى الزقوها بالكعبة المعظمة،

- والسدنة المذكورون هم بنو شيبة بن عثمان[٣] ،

- والأدراج المذكورة شبه منبر واسع من الخشب بحيث يصعد على درجة منها أربعة أنفس فى صف واحد ، وعدد الأدراج تسع ، وفى كل ركن من أركان هذا المنبر بكرة يجّرون عليها الأدراج المذكورة

(١) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص٢٦٠.

(٢) الفاسى : العقد الثمين ، جـ٢ ، ٣٩ ، ٤٠.

- الدهلوى : المصدر السابق ، ورقة ٢٢.

(٣) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص٢٦٠.

من حيال المقام الشريف ، حتى تصل باب البيت المعظم ، فتكون آخر درجة منها متصلة بأسكفة الباب الشريف .

– ولما قرّب الشيبيون المذكورون الأدراج المذكورة للكعبة المعظمة صعدوا عليها ، وقعدوا ينتظرون كبيرهم (شيخ السدنة احمد بن ديلم الشيبى) الذى بيده المفتاح .

– فلما وصل زعيمهم المذكور وكان جاز بأجياد ، وكان مسمتاً وقوراً ، دخل الحرم الشريف من باب ، وبيده كيس فيه مفتاح القفل المبارك وهى فضة خالصة.

– فلما رأوه ابتدروا القيام إليه .

– فصعد على الأدراج .

– فلما انتهى إلى الباب المكرم اسبل عليه ستر الباب ، ففتح القفل وخر ساجداً علي أسكفة الباب يقبلها.

– ثم دخل البيت الشريف وحده واجافوا عليه الباب ، والناس يرمقونه [1] بأبصارهم .

– فأقام بالبيت الشريف بقدر ما صلى ركعتين خفيفتين ، ثم فتح الباب ودخل سائر الشيبيين صغيرهم وكبيرهم ، واجافوا عليهم الباب ، وأقاموا بالبيت قدر مقام زعيمهم المذكور.

– ثم فتحوا الباب .

– وقعد كبيرهم المذكور في أسكفته المباركة مستقبلاً الشام .

---

(١) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص ٢٦٢.

– وبادر الناس بالدخول إلى البيت الشريف ، فكنت بحمد الله ممن أنعم الله عليه بالدخول فى ذلك اليوم إليه.[1]

واما عن ختام مراسم فتح وغلق البيت العتيق فلا ينسى التجيبى السبتى أن يشير إلى ان رئيس السدنة عندما يفرغ من غلق باب الكعبة ، ينزل فيصلى ركعتين على صفاحة طويلة سوداء عند (الركن العراقى) – يقال إنها موضع مصلى النبى ﷺ – وفى ذلك يقول التجيبى : " ورايت أيضاً زعيم الحجبة الذى بيده المفتاح – (وهو آنذاك أحمد بن ديلم الشيبى) – وكان سرى الهمة ، موصوفاً بعقل ... إذا نزل من البيت الشريف وغلق الباب يقصدها فيصلى عليها.[2]

---

(١) التجيبى المبتى : المصدر المابق ، ص٢٦٢.

(٢) ــــــــــ : نفس المصدر ، ص٢٧٩ .

– احمد بن ديلم الشيبى تولى مشيخة الحجبة من حوالى سنة ٦٧٢ –٧١٢هـ (الفاسى : العقد الثمين ، جـ٢ ، ص٢٩).

٥- الحجبة وفتح الكعبة على سبيل الخصوصية .

أ- الشيبيون وفتح الكعبة لولاة أمر المسلمين وخاصتهم :

يفتح الشيبيون باب الكعبة المقدسة على سبيل الخصوصية للخلفاء والسلاطين والملوك وأرباب الدول الإسلامية والخاصة من أعيانها وعلمائها وكبار رجالاتها ومن فى منزلتهم عندما يأتون لزيارة البيت العتيق حاجين أو معتمرين فيكون السدنة الشيبيون في استقبالهم ، فيفتحون لهم الباب الكريم" ، على سبيل الخصوصية ، فيشرفون بدخول الكعبة والصلاة فيها وبخاصة فى الموضع الذى صلى فيه رسول الله ﷺ يوم الفتح .

ولكى نقف على مَنْ استقبلهم الشيبيون وفتحوا لهم باب الكعبة من الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء ، فإن المقريزى فى كتابه (الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك) ، وكذا غيره من مؤرخى الإسلام ، قد أشاروا إلى عدد من هؤلاء الحكام الذين حجوا إلى بيت الله الحرام ، وفتح لهم الشيبيون البيت العتيق[(١)] ، كما أشارت بعض هذه المصادر إلى عدد من اللقاءات والأحاديث الودية التى جرت بين هؤلاء الحكام وأعيان السدنة داخل الكعبة المعظمة.

فقد كان فى معية النبى ﷺ عثمان بن طلحة بن أبى طلحة الحجبى عندما فتح النبى عليه الصلاة والسلام الكعبة المشرفة بيده الشريفة وصلى بداخلها يوم الفتح[(٢)] .

---

(١) المقريزى : الذهب المسبوك فى ذكر مرجح من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص٥١.

(٢)الواقدى : المغازى ، جـ ٢ ، ص ٨٣٤ .

- ابن كثير : السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٥٧٤ .

كما استقبل شيبة بن عثمان بن أبى طلحة (جد الشيبيين) كلاً من الخليفتين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وجلس معهما داخل الكعبة[(١)] ، كما استقبل شيبة الخليفة معاوية فى حجته الأولى عام ٤٤هـ /٦٦٥م[(٢)] ، وفى موسم حج سنة ٩٧هـ / ٧١٦م استقبل "حجاب البيت" الخليفة سليمان بن عبدالملك ، وفتحوا له باب الكعبة المعظمة ، فدخل هو وعمر بن عبدالعزيز ومحمد بن كعب القرظى[(٣)].

وفى العصر العباسى استقبل السدنة الخليفة المهدى فى موسم حج سنة ١٦٠هـ / ٧٧٧م ، وحمل إبراهيم بن عبدالله الحجبى إلى الخليفة المهدى (حجر مقام إبراهيم) ، فشرب فيه وأهله ماء زمزم[(٤)] ، وحج الرشيد تسع حجج[(٥)] واستقبله أعيان الحجبة الذين أشهدهم فى سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م على كتابى وليى العهد (الأمين والمأمون) وأمرهم بتعليقهما داخل الكعبة[(٦)] ، وكان آخر من حج من الخلفاء من

---

(١) أحمد بن حنبل : فضائل الصحابة ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، جـ ١ ، ص ٤١٢ ، حديث رقم ٦٣٨ .

- ابن حجر : فتح البارى ، جـ ٣ ، ص ٥٢٣ ، حديث رقم ١٥٩٤ .

(٢) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٦٩ ، ٢٧٠ .

ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢١.

(٣) ابن فهد : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص١٣٠.

(٤) الأزرقى: المصدر العاق ، جـ ١ ، ص ٢٧٠ .

(٥) المقريزى : المصدر السابق ، ص٤٨.

(٦) ابن العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم السامرائى ، الطبعة الثانية ، دار العلوم والنشر ، الرياض ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص ٧٦.

- الإربلى : خلاصة الذهب المسبوك ، مختصر من سير الملوك ، صححه مكى السيد جاسم، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٦٤م ، ص١٤٠-١٤٢.

بغداد[1]، والأمثلة كثيرة لمن جاء بعد ذلك إلى بيت الله الحرام حاجاً أو معتمراً من الأمراء والسلاطين والملوك وأرباب الدول الإسلامية ، الذين جاءوا إلى مكة وفتح لهم سدنة الكعبة بيت الله الكريم[2].

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٤٨.
وآخر حجة حجها الرشيد سنة ١٨٨هـ (المقريزى : نفس المصدر ، والصفحة) . واعتمر سنة ١٨٩هـ (ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢٤٦).

(٢) ـــــ : نفس المصدر ، ص ٦٥- ١١٨.

ب- مراسم استقبال السدنة لأمير أيوبى يدخل الكعبة:

وليس لدينا فى المصادر التى تناولت تاريخ الكعبة المشرفة وصف لما كان يقوم به السدنة من مراسم عند استقبالهم لهؤلاء الخلفاء والسلاطين والملوك ، وولاة الأمر عند فتح باب الكعبة لهم.

غير أن ابن جبير ينفرد بوصف استقبال زعيم السدنة الشيبيين محمد بن إسماعيل الحجبى (صاحب مفتاح الكعبة) للأمير سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخى صلاح الدين عندما شَرُفَ بدخول الكعبة المعظمة فى الثالث من شهر رمضان سنة ٥٧٩هـ (٣١ ديسمبر سنة ١١٨٢م) إذ يقول ابن جبير وقد شهد مراسم هذا الاستقبال :

- " وفى ضحوة يوم الأربعاء الثالث من الشهر المبارك كنا جلوساً بالحِجْر المكرم فسمعنا دبادب الأمير مكثر (أمير مكة آنذاك).

- فبينا الناس ينظرون إليهم إذ سمعوا ضوضاء عظيمة ، وزَعَقَات هائلة ، فما راعهم إلا الأمير سيف الإسلام داخلاً من باب بنى شيبة ولَمَعَان السيوف أمامه ، يكاد يحول بين الأبصار وبينه ،

- والقاضى عن يمينه وزعيم الشيبيين (محمد بن إسماعيل الشيبى) عن يساره ، والمسجد قد ارتج وغصَّ بالنظارة والوافدين ، والأصوات بالدُّعاء له ولأخيه صلاح الدين قد علَتْ من الناس حتى صكَّت الأسماع ، وأذهلت الأذهان ؛ والزمزمى المؤذن فى مَرْقَبَته رافعاً عقيرته بالدعاء له والثناء عليه ، وأصوات الناس تعلو على صوته ، والهَوْلُ قد عَظُم مرْأى ومُسْتَمَعاً .

- فلحين دنوّ الأمير من البيت المعظّم ، أُغمِدت السيوف ، وتضاءلت النفوس ، وخُلعت ملابس العزّة ، وذلّت الأعناق وخضعت

الرّقاب ، وطاشت الألباب ، مهابة وتعظيماً لبيت ملك الملوك ، العزيز الجبّار الواحد القهّار ، ومُؤتى المُلك من يشاء ، ونازع الملك ممن يشاء ، سبحانه ، جلّت قدرته وعزّ سلطانه.

– ... وطاف القاضى او زعيم الشيبيين بسيف الإسلام ... وعندما اكمل سيف الإسلام الطواف ، صلّى خلف المقام ، ثمّ دخل قبّة زمزم فشرب من مائها ، ثم خرج على باب الصفا إلى السعى ... فسعى ... وقد حُشِرَ الناسُ ضُحًى .

– ثم عاد الأمير إلى المسجد الحرام على حالته من الإرهاب والهيبة ، وهو يتهادى بين بُروق خَوَاطف السيوف المُصلّتَة.

– وقد بادر الشيبيون إلى البيت المكرم ليفتحوه ، ولم يكن يوم فتحه ،

– وضع الكرسى (السلم) الذى يصعد عليه ، فرقى الأمير فيه،

– وتناول زعيم الشيبيين (محمد بن إسماعيل بن عبدالرحمن الشيبى صاحب مفتاح الكعبة) فتح الباب ، فإذا المفتاح قد سقط من كمه فى ذلك الزحام ، فوقف (شيخ الحجبة وفاتح الكعبة) وقفة دهش مذعور ، ووقف الأمير على الأدراج ، فيسر الله للحين فى وجود المفتاح ، ففتح (شيخ الحجبة) الباب الكريم ،

– ودخل الأمير وحده مع الشيبى (شيخ الحجبة) واغلق الباب.

– وبقى وجوه الأغزاز واعيانهم مزدحمين على ذلك الكرسى (السلم) .

– فبعد لأى ما فتح لأمرائهم المقربين فدخلوا .

– وتمادى مقام سيف الإسلام فى البيت الكريم مدة طويلة ، ثم خرج.

– وانفتح الباب للكافة منهم . فياله من ازدحام ، وتراكم وانتظام ، حتى صاروا كالعقد المستطيل وقد اتصلوا وتسلسلوا .

– فكان هذا اليوم بمكة من الأيام الهائلة المنظر ، العجيبة المشهد، الغريبة الشان .

– فسبحان مَنْ لا ينقضى مُلكه ، ولا يبيد سلطانه ، لا إله سواه[1].

ومرة ثانية فتح الشيبيون باب الكعبة المعظمة للأمير سيف الإسلام يرافقه الأمير (مكثر) والى مكة ، وذلك يوم الجمعة الخامس من رمضان ، ومع انه كان يوما تفتح فيه الكعبة فتحاً عاماً للناس ، إلا أنه أفرد لدخول الأمير سيف الإسلام ، ثم للجند الغز القادمين مع الأمير الأيوبى وينفرد ابن جبير بالإشارة إلى ذلك فيقول[2] :

– "وفى يوم الجمعة وصل الأمير سيف الإسلام للصلاة اول الوقت ، وفتح (الشيبيون) البيت المكرم ، فدخله مع الأمير مُكثر واقاما به مدة طويلة ثم خرجا" ، ثم يشير ابن جبير إلى دخول الجند الغز للبيت الكريم قبل خطبة الجمعه فى هذا اليوم فيقول :

– "وتزاحم الغز للدخول تزاحماً ابهت الناظرين ، حتى ازيل الكرسى (السلم) الذى يصعد عليه فلم يغن ذلك شيئاً ، واقاموا

---

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص١٢١-١٢٦.

(٢) : نفس المصدر ، ص١٢٦.

الازدحام فى الصعود بإشالة بعضهم على بعض ، وداموا على هذه الحالة إلى أن وصل الخطيب ، فخرجوا لاستماع الخطبة .

- وأغلق الباب.[1]

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص١٢٧.

٦- السدنة ومفتاح الكعبة فى المواسم المكية وعند الضرورة .

أ- السدنة يفتحون الكعبة بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوى :

كما كان السدنة الشيبيون يفتحون باب الكعبة المعظمة فتحاً عاماً للناس بعد صلاة الصبح فى بكرة الثانى عشر من ربيع الأول بمناسبة الاحتفال بمولد النبى ﷺ ، إذ هو من المواسم المكية المعدودة وأشهرها وفق ما ذكره مصنفو القرنين الثامن والتاسع الهجريين الذين زاروا المدينة المقدسة أو كانوا من سكانها[1] ، ورسم سدنة البيت العتيق فى ذلك اليوم وفق ما انفرد به ابن بطوطة عند زيارته لمكة سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م[2] يماثل تلك المراسم التى كان يقوم بها السدنة الشيبيون عند فتحهم الكعبة فتحاً عاماً للناس فى أيام شهر رجب من عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣م والتى أشار إليها ابن جبير فى رحلته[3] .

(١) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص٩٢.

- الاسفراينى : المصدر السابق ، ص١٤٣ ، ١٤٤.

- الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص١٢٨.

———— : العقد الثمين ، جـ١ ، ص٦٠.

(٢) ———— : المصدر السابق ، ص ٩٢.

(٣) ابن جبير : المصدر السابق ، ص٧٠.

ب- السدنة يفتحون باب الكعبة فى (عيد رمضان) (عيد الفطر):

كذلك كان الشيبيون يفتحون باب الكعبة المعظمة فى عيد (رمضان) (عيد الفطر) أول شوال ، إذ هو أيضاً عند أهل مكة من المواكب المكية المشهورة ، ففى (عيد رمضان) (عيد الفطر) سنة ٥٧٩هـ/١١٨٤م يصف ابن جبير مظاهر الاحتفال بهذا العيد بمكة المكرمة ، كما يلقى الضوء على دور سدنة الكعبة الشيبيين فى مراسم الإحتفال بهذا العيد فى المسجد الحرام ، فيذكر أنه بعد أن "قضى الناس صلاة الفجر ، لبس الناسُ أثواب عيدهم ، وبادروا لأخذ مصافهم لصلاة العيد بالمسجد الحرام ، لأن السنّة جرت بالصلاة فيه ... فأول من بكّر الشيبيون ، وفتحوا باب الكعبة المقدسة ، وأقام زعيمهم (وهو آنذاك محمد بن اسماعيل بن عبدالرحمن الشيبى) جالساً فى العتبة المقدسة ، وسائر الشيبيين داخل الكعبة ، إلى أن أحسوا بوصول الأمير مكثر (أمير مكة) فنزلوا إليه وتلقوه بمقربة من باب النبى ﷺ ، إلى أن انتهى إلى البيت المكرم".(١) وبعد أن طاف حوله سبعاً ، عمد إلى مصطبة قبة زمزم مما يقابل الركن الأسود فقعد بها ومعه بنوه وحاشيته، يقول ابن جبير: "عاد الشيبيون إلى مكانهم من البيت المكرم يلحظهم الناس بأبصار خاشعة للبيت ، غابطة نحنهم منه ، ومكانهم من حجابته وسدانته ، فسبحان من خصهم بالشرف فى خدمته".(٢) .

ثم يذكر ابن جبير أنه بعد أن فرغ الناس من صلاة العيد وسماع خطبته "بادروا إلى البيت الكريم فدخلوا بسلام آمنين ، مزدحمين

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص١٣٤.
(٢) ———— : نفس المصدر ، والصفحة .

عليه فوجاً فوجاً ، فكان مشهداً عظيماً ، وجمعاً بفضل الله مرحوماً"(١).

أما التجيبى السبتى الذى شهد (عيد الفطر) يوم الاثنين أول شوال سنة ٦٩٦هـ/ ٢٢ يوليو ١٢٩٧م -أى بعد أكثر من قرن من الزمان - فإنه يشير إلى أن دور الشيبيين فى مراسم الاحتفال بالعيد بالمسجد الحرام ، قريب فى صورته إلى ما كان يقوم به السدنة الشيبيون فى أيام ابن جبير ، ويكاد يكون ما سجله (التجيبى) فى كتابه (مستفاد الرحلة) من عبارات أشبه بما كتبه ابن جبير ، فالتجيبى يذكر أن الناس بعد أن قضوا صلاة الفجر "لبسوا ثياب عيدهم ... وبادروا لأخذ مصافهم لصلاة العيد داخل المسجد الحرام، وهى سنة الصلاة بمكة المشرفة ... بكّر زعيم الشيبيين - (وهو آنذاك أحمد بن ديلم الشيبى) - الذى بيده مفتاح الكعبة ، ففتح باب البيت الشريف ، وقعد على أسكفة الباب ، وعليه السكينة والوقار".(٢).

وبعد أن فرغ الناس من صلاة العيد وسمعوا الخطبة من الخطيب الطبرى(٣) ، "سلم بعضهم على بعض ، ودخلوا البيت الشريف متبركين ، ومصلين فى زواياه ، وهذا العيد المبارك خير عيد

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص١٣٥.
(٢) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص٤٦٣ ، ٤٦٤.
(٣) وهو العلامة محب الدين أحمد بن عبدالله الطبرى ، قاضى قضاة مكة ومصنف كتاب (القرى لقاصد أم القرى) المتوفى سنة ٦٩٤هـ (ابن فهد : اتحاف الورى ، جـ٣ ، ص١٢٧).

شهدناه فى الدنيا ، والله تعالى يشفعه بأمثاله"(١) كذلك يذكر بطوطة الذى شهد موسم حج سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م أن سدنة ت العتيق كانوا يشتركون فى مراسم الاحتفال بعيد الفطر هذا ام، فيقول(٢) : "ويكون أول من يُبكّر إلى المسجد الشيبيون ، فتحون باب الكعبة المقدسة ، ويقعد كبيرهم – (وهو آنذاك محمد ن إدريس بن غانم الشيبى)(٣) – فى عتبتها ، وسائرهم بين يديه ، إلى أن يأتى أمير مكة فيتلقونه"(٤) ، فإذا فرغ الناس من صلاة العيد وسماع الخطبة فإنهم "يقصدون الكعبة الشريفة فيدخلونها أفواجاً"(٥) .

ولا ينسى على بن عبدالقادر الطبرى مؤرخ مكة الأشهر فى القرن الحادى عشر الهجرى أن ينبهنا إلى لمحة مهمة فى كتابه "الأرج المسكى فى التاريخ المكى" – وذلك بعد أن ذكر أوقات فتح الكعبة فى الإسلام– عندما يقول : "والقاعدة أن فاتح البيت الحرام فى كل يوم من الفتحتين – يجلس على كُرسيّه المعتاد بالكعبة ، الكائن على يسار الداخل ، وهى قاعدة قديمة"(٦) ، ولاينسى أيضاً أن يشير إلى أن الكرسى الذى كان يجلس عليه فاتح البيت مصنوع من الخشب(٧) .

---

(١) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص ٤٦٤.

(٢) ابن بطوطة : رحلة بن بطوطة المسماه تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ، ص١١٢.

(٣) الفاسى : العقد الثمين ، جـ١ ، ص٤٢٠.

(٤) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص١١٢.

(٥) ———— : نفس المصدر ، والصفحة .

(٦) على بن عبد القادر الطبرى : المصدر السابق ، ص ١٥٧.

(٧) ———— : نفس المصدر ، والصفحة .

جـ- السدنة يفتحون الكعبة عند الاجتماع لصلاة الاستسقاء :

وللسدنة الشيبيين حجبة الكعبة دور هام عند اجتماع الناس بمكة للاستسقاء تجاه الكعبة المعظمة ، فقد اشار ابن جبير إلى أن صاحب القبة العباسية والذى كان يحفظ فى خزانتها مصحفاً بخط زيد بن ثابت ﷺ ، ذكر له "أن أهل مكة إذا أصابهم قحط أو نالتهم شدة فى أسعارهم ، أخرجوا المصحف المذكور وفتحوا باب البيت الكريم ووضعوه فى القبة المباركة مع المقام الكريم ، مقام إبراهيم ، صلى الله على نبينا وعليه ، واجتمع الناس كاشفين رءوسهم داعين متضرعين ، وبالمصحف الكريم والمقام العظيم إلى الله متوسلين ، فلا ينفصلون عن مقامهم ذلك إلا ورحمة الله عز وجل قد تداركتهم، والله لطيف بعباده لا إله سواه"(١) .

ثم يوضح ابن جبير دور سدنة الكعبة فى اجتماع الناس بمكة للاستسقاء تجاه الكعبة فى ضحوة يوم الثلاثاء ٢٢من شوال سنة ٥٧٩هـ/ ٦من فبراير سنة ١١٨٤م فيقول :

– " اجتمع الناس كافة للاستسقاء تجاه الكعبة المعظمة ، بعد أن ندبهم القاضى إلى ذلك وحرضهم على صيام ثلاثة أيام قبله ،

– فاجتمعوا فى هذا اليوم الرابع ... وبَكَّرَ الشيبيون ففتحوا الباب المكرم من البيت العتيق ،

– " ثم أقبل القاضى بين رايتيه السوداوين لابسا ثياب البياض،

---

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص٧٢.

- وأخرج (الشيبيون) مقام الخليل إبراهيم ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى نبينا ، ووضع على عتبة باب البيت المكرم .

- وأخرج مصحف عثمان رضي الله عنه ، من خزانته ، ونشر بإزاء المقام المُطَهَّر ، فكانت دفته الواحدة عليه ، والثانية على الباب الكريم،

- ثم نُودِي فى النّاس بالصلاة جامعة ، وقد تمادى اجتماع الناس للاستسقاء تجاه الكعبة المعظمة ثلاثة أيام متوالية [1] ، والشيبيون يبكرون بفتح باب الكعبة ، ويخرجون مقام إبراهيم من موضعه داخل الكعبة ويضعونه على عتبة الباب المقدس ، لتكون إحدى دفتى (مصحف عثمان) على المقام الكريم والثانية على باب البيت العتيق[2].

ومازالت تلك عادتهم فيما ذكره ابن بطوطة فى رحلته إبان العصر المملوكى[3] .

---

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص١٢٣.

(٢) ———: نفس المصدر ، ص١٢٤.

(٣) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ٩٤ ، ٩٥.

المبحث الثالث

السدنة وكسوة الكعبة

١- اختصاص السدنة باستلام كسوة الكعبة .

٢- مراسم الاحتفال بتسليم الكسوة الجديدة إلى السدنة ، وتركيب السدنة للكسوة.

٣- تعليق السدنة للكسوة الداخلية للكعبة.

٤- السدنة واحرام الكعبة.

٥- السدنة وتجريد الكعبة.

١- اختصاص السدنة باستلام كسوة الكعبة فى الجاهلية والإسلام[١]

والكسوةُ : بكسر الكاف وضمها وسكون السين : اللباسُ أو ما يتخذ من الثياب للستر والحلية ، والجمع : كُساً بضم أوله على وزن تُقى والفعل منه : كسا يكسو ، والمصدر : كَسْوٌ فلانا أكسوه كِسوةً إذا ألبَسْتَهُ ثوبا أو ثيابا فاكْتَسَى[٢] ونقول : كَسَوْتُ الكعبة أكسوها كسواً ألبسَها الكسوة وهى ما ترتديه للستر والحلية[٣] ، والكسوة فى هذا البحث هى ما تكسى به الكعبة المشرفة .

وكسوة الكعبة عادة قديمة ، كان يقوم بها الجاهليون[٤] ، وكان سدنة الكعبة فى الجاهلية هم الذين يتولون مهام تسلم هدايا الكعبة من ثياب وطيب ، ولم يكن من أعمال السدنة صنع الكسوة ، وإنما كانوا يتسلمون ما يرسله الناس من كسى شتى من الأنفاع ، والوصائل ، والخَصَف ، والمعافر ، والمُلاَء ، والعصب ، ومطارف من خزّ خضر وصُفْر ، وكرار ، وكرا خز ، واكسية من اكسية الأعراب ، وشيقاق شَعَر وغارق عراقية ، وحبرات يمانية ، وأنماط[٥] ، وكان

---

(١) إبراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، جـ١ ، ص ٢٩٦.

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، جـ٥ ، ص٣٨٧٩ ، مادة : كسا .

(٣) العطار : الكعبة والكسوة ، منذ اربعة آلاف سنة حتى اليوم ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م ، ص ١١٨.

(٤) جواد على : المرجع السابق ، جـ٦ ، ص ٤٤١.

(٥) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ٢٤٩-٢٥١.

- ابن الجوزى : مثير العزم الساكن إلى اشرف الأماكن ، تحقيق مرزوق إبراهيم ، الطبعة الأولى ، دار الراية ، الرياض ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، جـ١ ، ص ٣٦٠.

القباطى : جمع قُبْطية بالضم ، وهو الثوب من ثياب مصر ، رقيق ابيض.

الوصائل : ثياب حمر مخططة يمانية.

الحِبَرات : جمع حِبَرَة ، وهو ما كان من البرود مخططا ، وهو من ثياب اليمن.=

السدنة يلبسونها الكعبة بعضها على بعض ، وكان يجتمع لدى سدنة البيت وولاته من الجلود والثياب كثيراً مما يهدى إلى الكعبة فيحتفظون به فى (خزانة الكعبة) ، فإذا بلى ثوب مما عليها أخرجوا من خزانة الكعبة آخر جديداً ووضعوه فوق القديم ، ولا ينزع مما عليها شىء .

إذ يذكر ابن أبى مليكة مؤذن المسجد الحرام (ت ١١٧هـ/٧٣٥م) أن الكعبة كانت تكسى فى الجاهلية كسًى شتى ، كان البُدْن تُجَلّل الحِبَر والأنماط والأكسية ، وغير ذلك من عصْب اليمن ، فيكسى منه الكعبة ، ويجعل ما بقى فى خزانة الكعبة ، فإذا بلى منها شىء أُخْلِف عليها مكانه ثوب آخر ، ولا يُنْزَع مما عليها شئ من ذلك.[١] ويروى أنهم كانوا يكسون الكعبة يوم عاشوراء وهى من الأيام التى كانت لها حرمة وقدسية عند أهل الجاهلية ، وهو يوم نجهل كل شىء عنه وعن احتفال اهل مكة به ، وصومهم فيه ، وكان من عادتهم انهم يضعون الأكسية الجديدة فوق القديمة ، فلا يرفعونها عنها[٢] ، كما

= العَصْب : برود يمنية . يعصب عزلُها ، اى يجمع ويشَدّ ، ثم يصبغ وينسج ، فياتى مَوْشيا ، ويبقى ما عصب منه ابيض لم ياخذه صِبْغ.

الكرار : الخِشن الرقيق ، واحدها كر .

المعافر : اسم بلد سميت به الثياب المعافرية التى تصنع فيه.

الملاء : جمع ملاءة ، وهى ثوب لين رقيق نسيج واحد وقطعة واحدة.

المسوح : جمع مسح وهو ثوب من الشعر الغليظ .

الأنطاع : جمع نطع وهو بساط من الجلد .

الخصف : جمع خصفة وهى الثوب الغليظ .

(المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص ٥١٤ ، ٥١٥) .

(١) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٥١.

- المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص٥١٦.

(٢) جواد على : المرجع السابق ، جـ٦ ، ص ٤٤٢.

كان السدنة يستلمون ما يهدى إلى الكعبة من خلوق ومُجْمر فيطيبونها بذلك من بطنها ومن خارجها[١].

وفى الإسلام استمر "تقليد الكعبة وتجليلها منوطان بسدنتها بنى شيبة، وهما منوطان بسدنتها إلى يومنا هذا"[٢] ، على حد قول شيخ سدنة الكعبة محمد بن صالح الشيبى (ت١٣٣٥هـ/١٩١٧م) فى كتابه "إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام".

واحتج الشيخ الشيبى فى ذلك بأن ابن عمر رضى الله عنهما كان "يجلل بدنه بالأنماط فإذا نحرها بعث بالأنماط إلى الحجبة فيجعلونها على الكعبة قبل أن تكسى"[٣] ، اى قبل ان يقوم خلفاء الدولة الإسلامية بكسوتها من بيت المال ، كما احتج بما ذكره الفاكهى مؤرخ مكة بسند صحيح بأن ابن عمر رضى الله عنهما: "كان يكسو بُدْنَه القباطى والحبَرات يوم يقلّدها ، فإذا كان يوم النحر نزعها ثم أرسل بها إلى شيبة بن عثمان فناطها علي الكعبة"[٤] ، كما احتج شيخ السدنة بقول عائشة رضى الله عنها : "دخل على شيبة الحجبى فقال : يا أم المؤمنين إن ثياب الكعبة تجتمع عندنا فتكثر..."[٥] ، "كما كان شيبة بن عثمان يقسم ما سقط من كسوة الكعبة على المساكين"[٦].

---

(١) المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص٥١٥.
(٢) محمد بن صالح الشيبى : المصدر السابق ، ص١٩٥.
(٣) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٥٥.
(٤) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٢٢.
- ابن حجر : فتح البارى ، جـ٣ ، ص ٣٥٨.
(٥) ابن حجر : نفس المصدر ، جـ٥ ، ص ٢٢١.
(٦) ———— : نفس المصدر ، جـ٥ ، ص ٢٢٢.

وقد كسى رسول الله ﷺ الكعبة المشرفة ، ثم كساها أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم[١] ، كما كان الناس يرسلون بالحبرات إلى السدنة كسوة للبيت ، وكذلك كان ابن عمر رضى الله عنهما يجلل بدنه بالأنماط فإذا نحرها بعث بالأنماط إلى الحجبة فيجعلونها على الكعبة[٢] وذلك يوم النحر اى عاشر ذى الحجة.

وعندما صارت كسوة البيت على الأمراء ، كما أفتت بذلك عائشة رضى الله عنها ، فإن الخلفاء والسلاطين ممن كانت لهم ولاية على مكة ، كانوا يرسلون كسوة الكعبة إلى شيوخ الحجبة الشيبيين ليضعوها على الكعبة وفق أوقات تعارفوا عليها.

ففى خلافة معاوية يذكر ابن أبى مليكة (ت١١٧/٧٣٥م) وهو شاهد على عصره ، أن الخليفة معاوية بعث إلى معاصره شيبة بن عثمان الحجبى - صاحب مفتاح الكعبة وجد الشيبيين- بكسوة للكعبة من ديباج وقباطىّ وحبَرة ، وأنه رأى تلك الكسوة عند الكعبة ورأى شيبة قد "كساها تلك الكسوة التى بعث بها معاوية إليها"[٣]، كما رآه وهو يقسم الثياب القديمة التى كانت عليها بين أهل مكة[٤]، كذلك ذكرت بعض المصادر أن عطاء بن سيار (ت١٠٢هـ/٧٢١م)[٥] وعبدالله بن عباس (ت٦٨هـ/٦٨٨م) "كانا ينظران - وهما فى صفة

---

(١) المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص٥١٦.
(٢) ———— : نفس المصدر ، والصفحة .
(٣) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٦٠.
(٤) ———— : نفس المصدر ،والصفحة .
- المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص٥١٩.
(٥) هو عطاء بن يسار المدنى الفقيه مولى ميمونة ام المؤمنين ، ثقة ، إمام ، كان يقضى بالمدينة ، روى عن كبار الصحابة مات وهو ابن اربع وثمانين سنة (ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، جـ١ ، ص١٢٥).

زمزم- إلى شيبة بن عثمان وهو يكسو الكعبة تلك الكسوة التى بعث بها معاوية-[١].

وكان الشيبيون فى خلافة معاوية يكسون الكعبة الديباج يوم عاشوراء والقباطى فى آخر رمضان[٢]، وكان معاوية قد خصص للكعبة كسوتين كل عام[٣]، أما يزيد بن معاوية فكان يكسوها الديباج الخسروانى[٤]، وذلك فى ولاية مصعب بن شيبة لمشيخة الحجبة[٥]، وكسيت القباطى، والديباج فى أيام ابن الزبير الذى كانت علاقته طيبة بحليفه ذائع الصيت جبير بن شيبة سادن الكعبة المرموق(٦)، وكذلك كان عبدالملك بن مروان يبعث إلى السدنة كل سنة بكسوة الكعبة ديباجاً، وكان ينشرها يوماً على أساطين مسجد رسول الله ﷺ - أثناء مرور الركب الذى يحملها بالمدينة- قبل أن يبعث بها إلى مكة، وكذلك فعل الوليد بن عبدالملك[٧]، ومن جاء بعده من خلفاء بنى أمية[٨] بهدف الدعاية والإعلام، وكانت الكسوة ترسل مرتين فى السنة حتى نهاية العصر الأموى[٩]. وكان يحجب البيت منذ أواخر القرن الأول الهجرى وحتى نهاية هذه الدولة منصورُ بنُ عبدالرحمن بن طلحة بن الحارث بن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة القرشى

---

(١) المحب الطبرى : نفس المصدر، ص ٥٢٠.

(٢) الفاسى : شفاء الغرام، جـ١، ص١٢٠.

(٣) ——— : نفس المصدر، والصفحة.

(٤) ——— : نفس المصدر، والصفحة.

(٥) محمد بن صالح الشيبى : المصدر السابق، ص ٧٩.

(٦) الفاسى : العقد الثمين، جـ٥، ص ١٤١، ١٥٩.

(٧) الأزرقى : المصدر السابق، جـ١، ص ٢٥٥.

(٨) الكردى : المرجع السابق، جـ٤، ص ١٩٣.

(٩) الأزرقى : المصدر السابق، جـ١، ص ٢٥٥.

العبدرى الحجبى المتوفى سنة ١٢٨هـ/٧٥٥م، وهو رجل أثنى عليه ابن عيينة (ت١٩٧هـ/٨١٢م)[١]، "وأحسن الثناء عليه" أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)[٢] وفيه يقول ابن السائب الكلبى(ت٢٠٤هـ/٨١٩م): "رأيت منصور بن عبدالرحمن فى زمن خالد بن عبدالله يحجب البيت، وهو شيخ كبير"[٣]، ورآه ابن عيينة وهو "يجمر الكعبة"[٤].

وفى العصر العباسى كان الشيبيون يستلمون كسا الكعبة التى كان يرسلها خلفاء بنى العباس إلى البيت الحرام[٥] وكانوا يقومون -فى أيام جد الأزرقى المؤذن بالمسجد الحرام- بتلبيس الكعبة فى كل سنة كسوتين: كسوة ديباج، وكسوة قَباطى، فأما الديباج فيكسونها يوم التروية، "فيُعلَّق القميص ويُدلَى ولا يُخاط، فإذا صدر الناس من منى خِيط القميص، وتُرِك الإزار حتى يذهب آخر

---

(١) الذهبى : العبر فى خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، جـ١، ص١٤٣، ١٤٤.

- ابن حجر : تهذيب التهذيب، جـ١٠، ص ٥١٠.

- الفاسى : العقد الثمين، جـ٧، ص ٢٨٥.

- وابن عيينة هو : أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالى، مولاهم، الكوفى، الحافظ، نزيل مكة، قال فيه أحمد بن حنبل : "ما رأيت أحداً أعلم بالسنن من ابن عيينة" (الذهبى: العبر، جـ١، ص ٢٥٤، ٢٥٥).

(٢) الفاسى : المصدر السابق، جـ٧، ص٢٨٥.

(٣) ابن سعد : المصدر السابق، جـ٥، ص ٢٥٨.

- وخالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كُرْز بن عامر البَجَلى ويعرف بالقسرى، أمير مكة، وليها للخليفة الوليد بن عبدالملك، ثم لأخيه سليمان، عزل عن ولاية مكة فى سنة ٥٩٦هـ (عبدالعزيز بن فهد : غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، جـ١، ص١٩٤، ١٩٥.

(٤) الفاكهى : المصدر السابق، جـ١، ص ٢٥٢.

(٥) الأزرقى : المصدر السابق، جـ١، ص٢٦٣.

- ابن جبير : المصدر السابق، ص ١٥٧.

- ابن فهد : المصدر السابق، جـ٢، ٢٠٥.

الحاج لئلا يخرقوه، فإذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الإزار ، ووصلوه بالقميص ، فلا تزال هذه الكسوة الديباج حتى يوم سبع وعشرين من رمضان ، فيكسونها القباطى للفطر(١) .

فلما كانت خلافة المأمون رُفع إليه ان الديباج يبلى ويتخرق قبل الفطر ، ويرقع حتى يسمج ، فأمر بكسوة ثالثة من ديباج أبيض فعملت سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م وارسل بها إلى الكعبة وصار السدنة يسدلون على الكعبة ثلاث كسا فى السنة الديباج الأحمر يوم التروية، والقباطى يوم هلال رجب ، ثم كسوة الديباج الأبيض التى احدثها المأمون يوم سبع وعشرين من شهر رمضان للفطر ، ثم يقول الأزرقى " شاهد عصره وهى إلى اليوم ثلاث كُسا" ولما رفع إلى المأمون أيضاً أن إزار الديباج الأبيض يتمزق ويبلى فى أيام الحج من مس الحجاج قبل أن يخاط عليها إزار الديباج الأحمر فى يوم عاشوراء ، زادها إزاراً ابيض فصار السدنة يكسونها إياه يوم التروية فيستر به ما تمزق من الإزار الذى كسيته إلى ان يخيطوا عليها إزار الديباج الأحمر فى العاشوراء(٢)، ولما رُفع إلى الخليفة المتوكل على الله فى سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م أن إزار الديباج الأحمر يبلى قبل هلال رجب من مس الناس وتمسحهم بالكعبة ، زادها إزارين مع الأزار الأول، ومن ثم صار السدنة يسبلون قميصها الديباج الأحمر حتى يبلغ الأرض ، ثم يضعون فوقه فى كل شهرين إزاراً جديداً(٣).

---

(١) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٥٧.

(٢) ــــــــ: نفس المصدر ، جـ١ ، ص ٢٥٥.

(٣) ابن الجوزى : مثير العزم ، جـ١ ، ص٢٦٢.

غير ان الأزرقى يؤكد ان معاصريه من سدنة الكعبة ....نظروا فإذا الإزار الثانى لا يحتاج إليه ، فقاموا بوضعه فى (تابوت الكعبة)(١) ، وكتبوا إلى الخليفة المتوكل انه يكفى إزار واحد مع ما اذيل - اسبل - من قميصها ، فصار يبعث بإزار واحد فتكسى به بعد ثلاثة اشهر ويكون الذيل ثلاثة اشهر ، ثم يضيف الأزرقى أن السدنة قاموا فى سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م بناء على أمر الخليفة المتوكل بتذييل - اى إسبال- القميص القباطى حتى بلغ شذروان الكعبة(٢). وعلى أيه حال فقد أحصى الأزرقى عدد الكساوى التى كسيت بها الكعبة وقام الشيبيون بتلبيسها فى الفترة من سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م إلى سنة ٢٤٤هـ/٨٥٨م فوجدها ١٧٠ كسوة يقول : "وابتدات كسوتها من سنة المائتين وعدتها إلى سنة اربع واربعين ومائتين ، مائة وسبعون ثوباً"(٣) ، ويتضح مما قاله الأزرقى أن الكعبة كانت تكسى على يد السدنة الشيبيين فى السنة الواحدة أكثر من كسوة يصل أحياناً إلى اربع كسوات ، ويرجع ذلك إلى ان القماش الذى كانت تصنع منه الكسوة لم يكن يتحمل العوامل المناخية من أشعة الشمس الحارقة فى فصل الصيف، إلى الأمطار والرياح فى الشتاء(٤)، أو إلى تمزيق اجزاء منها

---

(١) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٥٧.
- ابن الجوزى : مثير العزم ، جـ١ ، ص ٢٦٣.
- المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص٥١٩ .

(٢) شاذوران الكعبة : هو الحجارة المائلة الملتصقة بأسفل جدران الكعبة والمحيطة بها من جوانبها الثلاثة أما الجانب المقابل لحجر اسماعيل ففيه درجة واحدة مسطحة يقف عليها بعض الناس للتضرع والدعاء ملصقاً بطنه بالكعبة ورافعاً يديه فوق رأسه (الدقن: كسوة الكعبة ، ص٣٥ ، حاشية ١٩).

(٣) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٦٤.

(٤) الدقن : المرجع السابق ، ص ٣٥ ، ٣٦.

ل المتعلقين باستارها من الحجاج والمعتمرين وشدة اجتذابهم (١)، أو بفعل عنف الرياح، كما حدث سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م(٢)، مر الذى ادى إلى كسوتها اكثر من مرة فى السنة ولكن ما تقدمت صناعة الكسوة واصبحت على درجة عالية من القوة تانة، فصار يكتفى بكسوة واحدة فى السنة(٣).

---

(١) ابن جبير: المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٢) الفاسى: شفاء الغرام، جـ١، ص ١٢٢.

(٣) الدقن: المرجع السابق، ص ٣٦.

٢- مراسم الاحتفال بتسليم الكسوة الجديدة إلى السدنة وتركيب السدنة للكسوة.

الكسوة وتوابعها تسلم إلى الشينى سادن الكعبة (فاتح الكعبة وشيخ الحجبة) بعد ان تصل إلى مكة"، فيقوم بحفظها، حتى إذا ما كان اليوم المحدد لكسوة الكعبة قام بذلك (فاتح الكعبة وشيخ الحجبة) يساعده سائر الشيبيين ومن حضر من أهل الخطوة من الأمراء والعلماء والكبراء واول من اشار إلى مراسم الإحتفال بتسليم كسوة الكعبة إلى السدنة خدمتها إنما هو الرحالة ابن جبير.

ففى عصر هذا الرَّحالة كان الشيبيون يستلمون كسوة الكعبة التى ترسلها بغداد مع (أمير الركب العراقى) القادم للحج، فى احتفال كبير يقام فى مكة بهذه المناسبة، وفى أول مرة تصلنا صورة مراسم هذا الاحتفال يذكر ابن جبير إنه فى عام ٥٧٩هـ/١١٨٤م، وفى يوم النحر الموافق يوم السبت العاشر من ذى الحجة اقيم احتفال كبير وموكب رائع بمناسبة الخروج بكسوة الكعبة من محلة امير الركب العراقى (فى مكة) إلى البيت الشريف لتسليمها عند الكعبة لحجبة البيت الذين كانوا - وعلى راسهم من بيده مفتاح الكعبة- فى مقدمة المحتفلين " إذ سيقت كسوة الكعبة الشريفة من محلة الأمير العراقى إلى مكة على اربعة جمال، تقدمها القاضى الجديد بكسوة الخليفة السَّوادية والرايات على راسه، والطبول تهز وراءه، وابن عم الشيبى محمد بن إسماعيل (شيخ السدنة) معها (لأنه ذكر أنَّ أمْر الخليفة نفذ بعزله عن حجابة البيت لهنات اشتهرت عنه)... فوضعت الكسوة فى السطح المكرم أعلى الكعبة،

لم يشر ابن جبير إلى أن السدنة أبقوا كسوة الكعبة على سطحها ، حتى إذا كان اليوم الثالث عشر من ذى الحجة قام السدنة بتلبيس الكسوة للبيت المبارك ، ويصف ما رآه بقوله : "فلما كان يوم الثلاثاء الثالث عشر من الشهر المبارك المذكور اشتغل الشيبيون بإسبالها خضراء يانعة يُقيّد الأبصار حسنا ، فى أعلاها رسم أحمر واسع مكتوب فى الصفح الموجّه إلى المقام الكريم حيث الباب المكرّم ، وهو وجهها المبارك ، بعد البسملة : ﴿إن أول بيت وضع للناس﴾ الآية[٢] ، وفى سائر الصفحات اسم الخليفة والدعاء له ، وتحفّ بالرسم المذكور طُرّتان حمراوان بدوائر صفار بيض فيها رسم بخط رقيق يتضمن آيات من القرآن وذكر الخليفة أيضاً ، فكملت كسوتها ، وشُمّرت أذيالها صوناً لها من أيدى الأعاجم وشدة اجتذابها وقوة تهافتها عليها وانكبابها ، فَلاحَ للناظرين منها أجمل منظر ، كأنها عروس جُليت فى السندس الأخضر"[٣] .

ولا ينسى ابن جبير الذى استقى كثير معلوماته عن البيت العتيق من "زعيم الشيبيين – الذين إليهم سدانة البيت – وهو محمد بن إسماعيل بن عبدالرحمن صاحب حجابة البيت"[٤] أن يشير إلى أن الكسوة من الحرير وأن عدد ستورها التى قام السدنة بتلبيسها من الجوانب الأربعة : أربعة وثلاثون ستراً ، وأن الذى أمر بإرسالها هو الخليفة الناصر لدين الله العباسى (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)[٥] .

---

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص١٥٨.
(٢) سورة آل عمران ، الآية ٩٦ .
(٣) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١٥٨.
(٤) ——— : نفس المصدر ، ص٥٩.
(٥) ——— : نفس المصدر ، ص ٦٠ ، ٦١.

أما ابن بطوطة فقد ألمح إلى مراسم الاحتفال باستلام الشيبيين لكسوة البيت عند الكعبة فى موسم سنة ٧٢٦هـ (١٣٢٦م) ، وانهم استلموها يوم النحر كالعادة، وانهم وضعوها على سطح الكعبة ، وهى الكسوة التى أرسلها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون مع أمير الركب المصرى أرغون الدوادار نائب السلطان ، وانه لما كان اليوم الثالث بعد يوم النحر أخذ الشيبيون فى إسبالها على الكعبة الشريفة ، ثم قاموا بتشمير أذيالها صوناً لها من أيدى الناس[١] .

أما الفاسى (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م) ، فيذكر أن الشيبيين فى أيامه ومنذ حوالى سنة ٨١٤هـ/١٤١٢م يقومون بإسبال الكسوة وتشميرها يوم النحر ، وانه يقام فى هذا اليوم موكب كبير من محل أمير الحاج المصرى إلى المسجد الحرام ، "وان (أمير الحاج المصرى) ياتى ومعه أعلام ، والدبادب والبوقات تضرب معه ، حتى يدخل المسجد ، وتُخرَج إليه (الشيبيون) كسوة الكعبة من جوفها ، وينشرونها فى صحن المسجد مما يلى الشق اليمانى ، ثم يبرزون كسوة كل شق ، ويرفعها أعوان الأمير مع الحجبة إلى أعلا حتى تكمل"[٢] ، ثم يقوم السدنة ومن يساعدهم من الحضور بإسبالها على الكعبة على الصفة السابقة[٣] . وذلك فى ضحى يوم النحر، حيث يكون المسجد الحرام عادة خالياً من الناس لأن سوادهم يكون بمنى ولا يكون بمكة إلا النفر القليل[٤] ، ويذكر الناس أن السبب فى وضع

---

(١) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١١٥.
(٢) الفاسى : شفاء الغرام، جـ١ ، ص ١٢٥.
(٣) ——— : نفس المصدر والصفحة .
(٤) الدقن : المرجع السابق ، ص٢٠٠.
- إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، جـ١ ، ص١٢ ، ١٣ ، ١٤.

الكسوة فى جوف الكعبة – بمعرفة السدنة – قبل الحج صونها من السرقة ، لأنه قبل ذلك سرق بعضها من محلة الأمير بمنى ، ثم عادت إليه بشئ بذله ، وصار الأمراء يضعونها فى الكعبة عند توجههم من مكة إلى الموقف[(١)] ، أى قبل توجههم إلى منى وعرفات وانشغالهم بالمناسك.

والعادة فى عصر الفاسى وبعده أن يضع السدنة كسوة الكعبة عليها يوم النحر ضحى ، إلا فى بعض السنوات[(٢)] واستمر السدنة على عادتهم فى استلام كسوة الكعبة عند وصولها مع أمير الحاج المصرى إلى مكة ويضعونها فى داخل الكعبة ، حتى إذا كان يوم العيد اسبل الشيبيون عليها الكسوة فى حضور أمير مكة وامير الحاج المصرى والأمراء والقضاة والعلماء والأعيان وغيرهم من أهل الحظوة[(٣)].

ويهمنا ان نشير إلى أن السدنة عند تركيب كسوة الكعبة لا يصعدون بها إلى سطحها من الدرج الذى فى بطنها ، لأن الدرج التى فى داخلها ضيقة لا تتسع إلا لشخص واحد ، ولما كانت كسوة الكعبة مبطنة ثقيلة ثخنية طويلة . فإن الصعود بها من الدرجة الضيقة التى فى باطن الكعبة يكون مستحيلاً ، ومن ثم كان سدنة الكعبة يقومون بما يلى :

---

(١) الفاسى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٢٥.

(٢) منها فى سنة ٨١٨هـ كسيت فى الرابع من ذى الحجة ، وفى ٨٢٠هـ ، ٨٢١هـ يوم الثالث من ذى الحجة ، وكسيت فى ثلاث سنوات بعد ذلك فى هذا التاريخ او بعده قبل اليوم السادس من ذى الحجة. (الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص١٢٥).

(٣) الفاسى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٢٥.

– ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٨٧ ، جـ٤ ، ص ٢٠٧ ، ٤١٠ ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٥٥ ، ٤٦٠ ، ٦٣٨.

١– يفرشون كسوة الكعبة فى أرض المطاف ويرتبون قطع كل شق من كسوة الكعبة – وهى أربع – كل على حدة.

٢– يَخيطُون كسوة كل شق باتقان بالغ ثم يطوونه طيا محكماً ، ثم يربطونه بالحبال.

٣– ثم يصعدون ومعهم اعوانهم ومن حضر ممن له شان ، على سطح الكعبة ، ومعهم حبال يدلون بها على ارض المطاف ، فيربطون بها كسوة كل شق على حده ، ثم يجرونها إلى اعلا سطح الكعبة[(١)] ، ويضعون على كل جانب باعلا الكعبة الشق المناسب له من الكسوة. ثم يحكمون ربطه فى حلق الحديد الموجودة فى إفريز جدران الكعبة من السطح.

٤– ثم يخلعون ما بقى على الكعبة من كسوتها القديمة . بينما هم يسلبون على نفس اللحظة . كسوتها الجديدة.

وتشير المصادر التى اهتمت بتاريخ الكعبة إلى انه كان يحضر مع الشيبيين عند تلبيس كسوة الكعبة ، ويسهم معهم فى وضعها على البيت العتيق بعض من قُدِّر له ان يحج إلى بيت الله الحرام من الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والعلماء والأعيان وكبار رجال الدولة ، فالأزرقى يذكر أن الخليفة المهدى العباسى عندما حج سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م جلس على ظهر المسجد مما يلى (دار الندوة) ينظر إلى الكعبة وسدنتها الشيبيون يكسونها الكسوة التى أمر بها[(٢)] ، اما المقريزى فيذكر فى (الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك) أن السلطان الملك الظاهر بيبرس عندما حج فى سنة

---

(١) ابن فضل الله العمرى : المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

– الكردى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٢٢٢ ، ٢٢٣.

(٢) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ٢٦٣.

٧ /١٢٦٩م علا كـ ـوة الكعبة بيده مع خدمتها . ومعه خواصه
ج معه من الأمراء والقضاة والكتاب والعلماء(١) . أما ابن
فـ الله العمرى فيقول : "لما حججت سنة ثمان وثلاثين
و ئة، صعدتُ أنا وأمراء الركب المصرى لتلبيس الكعبة الشريفة،
حـ اعلى سطحها . فرأيتُه مبلَّطا بالمرمر والرخام الأبيض . ومن
جوانبه جُدُرٌ قصارٌ فيها حِلَقٌ لمرابط الستور . تُجَرُّ فيها الكسوة
بحـ . ثم تُربط فيها تلك الحِلَق . وأنا أحمد الله إذ بيدى توليتُ
خلع الكسوة العتيقة عنها وتلبيسها الكسوة الجديدة"(٢) . وكان ذلك
يوم النحر ضحى(٣) .

---

(١) المقريزى : الذهب المسبوك ، ص ٨٩ ، ٩١ .

(٢) ابن فضل الله العمرى : المصدر السابق ، ص١٠٠ .

(٣) ———— : نفس المصدر ، ص ١٠١ .

٣- تعليق السدنة للكسوة الداخلية للكعبة :

كذلك كان السدنة يعلقون على جدران الكعبة من الداخل كسوتها الداخلية ، ولا نعرف متى بدأ حكام الدولة الإسلامية إرسال هذه الكسوة إلى الكعبة المشرفة ، وأول إشارة وردت فى مصادرنا عن هذه الكسوة نجدها عند ابن جبير ، فقد اشار إلى وجود كسوة داخلية للكعبة سنة ٥٧٩هـ/١١٨٤م حيث يقول : "وسقف الكعبة مجلل بكساء من الحرير الملون"(١) وذلك فى ايام مشيخة محمد بن إسماعيل زعيم الشيبيين وفاتح الكعبة(٢) ، ثم تشير المصادر بعد ذلك إلى الكسوة الداخلية التى أرسالها الملك المظفر صاحب اليمن سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م وذلك أثناء رئاسة السادن إدريس بن غانم الشيبى لمشيخة السدنة(٣) ، كما تشير إلى كسوتها الداخلية التى ارسلها الناصر حسن بن محمد بن قلاون سنة ٧٦١ هـ/١٣٦٠م(٤) . وكان شيخ السدنة آنذاك محمد بن ابى بكر الشيبى(٥) . أما الأشرف برسباى فقد كساها كسوة حمراء سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٣م إضافة إلى كسوتها الخارجية ، وقد جاء الركب المصرى يحمل الكسوتين إلى الكعبة تحت إمرة المقر الأشرف الزينى عبدالباسط ناظر الجيوش المصرية(٦) ، وذلك فى مشيخة السادن محمد بن على بن راجح

---

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٢) ———— : نفس المصدر ، ٥٩ .

(٣) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٨٤ .

(٤) ———— : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٨٠ .

(٥) الفاسى : العقد الثمين ، جـ١ ، ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

(٦) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٩٦ .

الشيبى فاتح الكعبة وشيخ الحجبة[١] وفى سنة ٨٥٦هـ/١٤٥٢م كساها السلطان الظاهر جقمق كسوتها الداخلية بعد أن أصدر مرسوماً بأن تنزع كسوة الأشرف برسباى ، والكسوة التى تحتها وكانت لشاه العجم روخ مرزا وكانت قد وضعت بأمر جقمق[٢].

وذلك فى مشيخة السادن سراج الدين عمر الشيبى شيخ الحجبة وصاحب مفتاح الكعبة[٣] ، ثم كساها الملك الظاهر (ابا سعيد خشقدم) الذى تولى السلطنة فى مصر فى رمضان سنة ٨٦٥هـ/١٤٦١م[٤] . وكان شيخ السدنة آنذاك سراج الدين عمر الشيبى السابق الإشارة إليه[٥] .

ويهمنا أن نشير إلى مراسم آخركسوة داخلية أشارت إليها مصادر العصر المملوكى وقام سدنة الكعبة المعظمة باستلامها وتعليقها بداخل الكعبة ، وهى الكسوة التى أرسلها الأشرف قايتباى مع الكسوة الخارجية فى موسم سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٩م مع (أمير الحاج المصرى) قجماس الإسحاقى[٦] ، وينفرد ابن فهد الذى شهد مراسم استلامها وتعليقها ، بالإشارة إلى أنه فى يوم الأربعاء غرة ذى الحجة حمل أمير الحاج المصرى إلى المسجد الحرام كسوة الكعبة الشريفة من داخلها ، وقد أرسل بها (سلطان الحرمين ومصر والشام الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ، وأنه كان فى موكب الاحتفال بتسليمها

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، جـ٢ ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠.
- السخاوى : الضوء اللامع ، جـ٨ ، ص ٢٨٢.
(٢) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٣١٧ .
(٣) السخاوى : الضوء اللامع ، جـ٦ ، ص ١٢١ ، ١٢٢.
(٤) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٤٥٥ .
(٥) السخاوى : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص١٢١ ، ١٢٢.
(٦) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٦٢٨.

ثم تعليقها . أمير الحاج المصرى قجماس الإسحاقى وأمير مكة السيد بركات بن حسن بن عجلان الحسنى ، ومحمد بن عمر المعروف بابن الزمن مشارف العمائر المكية[١] والشيبيون سدنة الكعبة[٢] ورئيسهم أبو البركات يوسف بن محمد الشيبى "شيخ الحجبة وفاتح الكعبة-وابن شيخها بل سلالة مشايخها"[٣]- وغيرهم من الأمراء والعلماء والأعيان وأهل الحظوة فنشرت الكسوة بالمسجد الحرام ، لترتيب جوانبها ، ثم حملت إلى جوف الكعبة ، وشرع الشيبيون فى تعليقها فى محلها ، غير أنه حال كسوتهم لها وجدوا بجدار الكعبة أو بأساطينها ما يحتاج إلى إصلاح، فشرعوا فى إصلاحه ، ولم يفرغوا من إصلاح ذلك وتعليق الكسوة فى محلها إلا فى ثانى تاريخه[٤] .

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ، جـ٨ ، ص [illegible]
(٢) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٦٢٨.
(٣) السخاوى : الضوء اللامع ، جـ١١ ، ص٦ ، ٧.
(٤) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٦٢٨.
- عبدالعزيز بن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٢٢.

٤- السدنة وإحرام الكعبة :

وإحرام الكعبة لا يكون إلا في موسم الحج ، وهو من اختصاص السدنة وأعمال الشيبيين ، إذ كان من عادة الشيبيين في موسم الحج القيام بإحرام الكعبة(١).

وليس المقصود بـ (إحرام الكعبة) أن تلبس الكعبة الإحرام كما يلبسه المحرم بالثياب ، إذ ليس من المعقول أن يراد بإحرامها حقيقة الإحرام المراد به شرعاً ، وإنما هو عادة قديمة للشيبيين ، ومعنى (إحرام الكعبة) على ما ذكره ابن جبير وشاهده في موسم حج سنة ٥٧٩هـ : أن تشمر أستار الكعبة المقدسة إلى نحو قامة ونصف من الجدر من الجوانب الأربعة ، ويسمون ذلك إحراماً لها ، فيقولون : أحرمت الكعبة .

وبهذا جرت العادة دائماً في الوقت المذكور من الشهر(٢) وهو السابع والعشرون من ذي القعدة . وإليه أشار ابن بطوطة في موسم حج سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م ، وهو يوم مشهود بالحرم الشريف(٣) ، أما ابن رشيد الذي حج في موسم سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٦م والذي وصل إلى مكة في السادس من ذي الحجة- أي بعد احرام الكعبة- فيقول : "وقد أحرمت الكعبة بتجريدها من المخيط ، إلى حد الحجر الأسود وبقى ما سواه بها محيط"(٤).

---

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص١٤٣ .

(٢)———: نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص١١٤.

(٤) ابن رشيد : ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهه الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة ، الجزء الخامس ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص٨٤.

ويذكر كل من ابن جبير وابن بطوطة ، أن السبب الذي جعل الشيبيين يقومون بتشمير أستار الكعبة (إحرام الكعبة) ، في الموسم ، هو المحافظة على كسوتها حتى لا تصل إليها أيدي الحجاج الذين يطوفون بالبيت ، فتتمزق من كثرة لمسهم للكسوة بأيديهم وتعلقهم بأستارها ، وعلى حد قول ابن بطوطة :"صوناً لها من الأيدي أن تنتهبها"(١) ، وخاصة السرو وهم من قبائل اليمن وفيهم يقول ابن جبير :"فهم إذا طافوا بالكعبة المقدسة يتطارحون عليها تطارح البنين على الأم المشفقة ، لائذين بجوارها ، متعلقين بأستارها ، فحيثما علقت أيديهم منها تمزق لشدة اجتذابهم لها وانكبابهم عليها"(٢).

مراسم (إحرام الكعبة) : "وينفرد التجيبي السبتي في كتابه (مستفاد الرحلة) بوصف مراسم (إحرام الكعبة التي قام بها الشيبيون وزعيمهم أحمد بن ديلم الشيبي في موسم الحج الذي شهده سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٧م بقوله: " لما كان يوم السابع والعشرين لشهر ذي القعدة من عام ست المذكورة ، وصل زعيم الشيبيين - (وهو آنذاك احمد بن ديلم الشيبي)- إلى الحرم الشريف قبل طلوع الشمس ، وبيده مفتاح الكعبة المعظمة ، ووصل المكيون ، ولم يتخلف منهم أحد ، لا من رجالهم ولا من نسائهم وصبيانهم ، واحتفلوا بذلك احتفالاً عظيماً لم تشهد لهم مثله ، وقعدوا بإزاء المقام الشريف ، وملئوا المطاف والحطيم ، وذُكر لنا أنهم يفعلون كذلك في مثل هذا اليوم من كل عام عادة لهم قديمة استمروا عليها ، ويسمون اليوم ، يوم إحرام الكعبة .

---

(١) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١١٤.

(٢) ابن جبير : المصدر السابق ، ص١١١.

ثم أتى خطيب مكى منهم ، فصعد المنبر ، وخطب خطبة بليغة . فيها ذكر الكعبة المعظمة والبلد الأمين وفضلها . وانشد فى ذلك أبياتاً حساناً ، ودعا دعاءً حسنا .

وخلع المكيون رجالاً ونساءً الثياب ورموا بها ، حتى اجتمع منها أمامه كوم عظيم . (وانتهت الخطبة) . وتقدم زعيم الشيبيين (احمد ابن ديلم الشيبى) إلى البيت الشريف ، ونصب له بإزائه كرسى خشب فصعد عليه ، وقطع من كسوة الكعبة نحو قامة ونصف مما يلى الأرض ، وهذا يسمونه بإحرام الكعبة وأعانه على ذلك سائر الشيبيين ، ونزل (زعيم الشيبيين) وفتح باب الكعبة المعظمة ، ودخل هو وآله ، وبعض من كان لهم به اعتناء .

ونقل لهم الماء من زمزم المباركة ، وغسلوا البيت المطهر الشريف، ثم جمروه ، وأغلق زعيمهم الباب المكرم .

ثم لم يفتحه حتى وصل أمير القافلة المصرية .

وهكذا جرت عادتهم بذلك على مر السنين(١) .

أما فى عصر الفاسى (ت ٨٣٢ هـ/١٤٢٩م) فإنه يلفت النظر إلى ما يلى :

أولاً : أنهم -أى الشيبيين- يشمرون كسوة الكعبة فى الخامس والعشرين من ذى القعدة من كل سنة من جوانبها الأربعة إلى عتبة الباب السفلي ، وكانوا يصنعون ذلك بعد العصر وفى هذا اليوم ، ثم صاروا يضعونه فى أول النهار(٢) .

---

(١) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص ٤٦٥.
(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص١٢٤.

ثانياً : " أنهم (أى الحجبة) فى السابع والعشرين من ذى القعدة فى كل سنة يقطعون كسوة الكعبة من فوق الباب مع ما شمروه من قبل" ثم يستطرد الفاسى فيقول : " ولعل سبب قطع الحجبة للكسوة أي كسوة الكعبة فى السابع والعشرين من ذى القعدة كَوْن الحجاج فى مصر والشام صاروا يقدمون إلى مكة فى أوائل العشر الأول من ذى الحجة ، فإذا أخَّر الحجبة قطع ذلك أو أخذوا الكسوة جملة إلى أيام منى فات الحجبة بعض مقصودهم من بيع الكسوة فى العشر الأول من ذى الحجة"(١).

---

(١) الفاسى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٢٥.

٥- الشيبيون وتجريد الكعبة

التجريد : التعرية من الثياب ، وجرد الشئ تجرده جرداً وجرده : قشره . وثوب جرد : خلق قد سقط زئبره ، وقيل : هو الذى بين الجديد والخلق . والجرد : الخلق من الثياب ، والجردة : الخرقة البالية . وتجرد من ثوبه وانجرد : تعرى[١].

لم يجرد سدنة بيت الله الحرام الكعبة فى الجاهلية ، فروايات أهل الأخبار تذكر أن الكعبة منذ بناها إبراهيم عليه السلام ظلت بدون كسوة أى عريانة حتى كساها تُبَّع الحميرى[٢] ومن بعده كان الجاهليون يهدون إلى الكعبة كساً شتى ، وإذا بلى ثوب طرحوا فوقها ثوباً آخر جديداً - مما احتفظوا به فى خزانة الكعبة- ولا ينزع مما عليها شىء[٣] إذ كان ما يهدونه إليها من القربات[٤].

وعندما جاء الإسلام لم يكن من حسن العمل أن تبقى تلك الكسا البالية الممزقة التى تراكمت بكثرة على جدران الكعبة فى ظل الإسلام، إذ ترقت المدارك واستنارت العقول ، ولم يعد من المقبول أن تبقى تلك الكسا الخلقة الممزقة كما هى على جدران الكعبة[٥].

وإذا كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ينزع من كسا الكعبة فى كل سنة فيقسمها على الحاج فيستظلون بها على السمر

(١) ابن منظور : لسان العرب ، جـ١ ، ص ٥٧٨ . (مادة : جرد) .
(٢) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٤٩ .
- جواد على : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ٤٤١ ، ٤٤٢ .
(٣) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٥١ .
(٤) جواد على : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ٤٤٣ .
(٥) الكردى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٢٦٠ .
- الدقن : المرجع السابق ، ص ٢٤٥.

بمكة[١] . فإن هناك اجماع على أن شيبة بن عثمان جد الشيبيين هو أول من جرد الكعبة تجريداً كاملاً فى الإسلام[٢] .

لقد أشارت المصادر إلى أن السدنة الشيبيين قاموا بتجريد الكعبة خمس مرات لأسباب مختلفة :

المرة الأولى : عندما رأى شيبة بن عثمان تجريدها تجريداً كاملاً من كسا الجاهلية "حتى لا يكون عليها مما مسه المشركون شئ لنجاسته"[٣] وفى رواية "لنجاستهم"[٤] فكتب فى ذلك إلى الخليفة معاوية وهو بالشام يستأذنه ، فكتب إليه أن جردها ، وبعث إليه بكسوة من ديباج وقباطى وحبرة[٥] ، يقول ابن أبى مليكة مؤذن المسجد الحرام فى الستينات من القرن الأول الهجرى : "فرأيت شيبة جردها حتى لم يترك عليها شيئاً مما كان عليها ، وخلق جدرانها وطيبها ثم كساها تلك الكسوة التى بعث بها معاوية إليها ... وكان ابن عباس حاضراً فى المسجد الحرام وهم (أى الشيبيون) يجردونها، فما أنكر ذلك ولا كرهه"[٦].

(١) المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص٥١٩.
(٢) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٦١.
- الناكهى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٢٢.
- المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص٥١٩.
(٣) المحب الطبرى : نفس المصدر ، والصفحة.
(٤) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٦٠.
(٥) ——— : نفس المصدر ، والصفحة.
(٦) ——— : نفس المصدر ، والصفحة .
- المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص٥١٩.
عطاء بن يسار الهلالى ابو محمد المدنى ، النتيه ، مولى ميمونه ام المؤمنين ، ثقة ، كان يقضى بالمدينة توفى سنة ١٠٢هـ (ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، جـ١، ص١٢٥).

اما عطاء بن يسار فيقول : كان شيبة بن عثمان أول من جدرها وكشفها" ثم اشار إلى مشاهدته لاحد الشيبيين وهو يجرد الكعبة فقال: "قدمت مكة معتمراً ، فجلست الى ابن عباس فى صفَّة زمزم وشيبة بن عثمان يجرد الكعبة .. فرايت جدارها"(١) ، بعد ان جردها شيبة ، ثم اشار ابن يسار إلى ما كان على الكعبة من كسا الجاهلية فقال عطاء : "ورايت تلك الثياب التى اخبرنى عمر بن الحكم السلمى انه رآها فى حديث نذر امه البدنة قد وُضِعتْ بالأرض"(٢) ، ثم يشير عطاء إلى قيام شيبة بتقسيم تلك الثياب على أهل مكة ، وانه راى عطاء - أخذ كساءً من تلك الثياب فقال : "فرايت شيبة بن عثمان يومئذ يقسمها او قسم بعضها ، فاخذتُ يومئذ كساء من نسج الأعراب"(٣) ، وعن موقف ابن عباس من قيام شيبة بتجريد الكعبة تجريداً كاملاً ولأول مرة قال عطاء : "فلم أر ابن عباس انكر شيئاً مما صنع شيبة بن عثمان"(٤) على اننا لا نعرف فى اى سنة على وجه الدقة قام شيبة بتجريد الكعبة ، وإن كان حفيده السادن عبدالحميد بن جبير بن شيبة اشار إلى ذلك بقوله : "جرد شيبة بن عثمان الكعبة قبل الحريق"(٥) اى قبل الحريق الذى شب فى بنيان الكعبة سنة ٦٨٤/٦٤م ، أثناء حصار قوات الأمويين لابن الزبير "العائذ بالبيت" إبان ثورته(٦).

---

(١) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٦٠.
(٢) ـــــ : نفس المصدر ، جـ١ ، ص ٢٦١.
(٣) ـــــ : نفس المصدر ، نفس الصفحة.
(٤) ـــــ : نفس المصدر ، نفس الصفحة.
- المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص ٥٢٠.
(٥) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٦١
- المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص ٥١٩.
(٦) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٦٢.

أما المرة الثانية : التى قام فيها الشيبيون بتجريد الكعبة فقد كان فى عهد الخليفة المهدى العباسى ، وفى اثناء تواجداه بمكة فى موسم حج سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م ، وقد وافق على تجريدها ، عندما "ذكر حجبة الكعبة للمهدى وانه قد اجتمع على الكعبة كسوة كثيرة حتى إنها قد انثلتها" ، وانهم يخافون على الكعبة ان تتهدم لثقل ما صار عليها من الكسوة ، وبخاصة أن ما تكاثر عليها من كُساً متراكمة كانت من الديباج الثخين او من متاع اليمن(١) ، ثم انهم جردوها من كسوتها حتى لم يَبْقَ عليها من كُسوتها شىء ، ثم صعد الشيبيون على ظهر الكعبة يتقدمهم السادن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الحجبى بقوارير الغالية يفرغونها على جدران الكعبة من خارجها من جوانبها كلها ، وعبيد الكعبة قد تعلقوا بالبكرات التى تحاط عليها ثياب الكعبة ويطلون بالغالية جدرانها من أسفلها إلى أعلاها ، ثم أفرغ عليها الشيبيون ثلاث كُسا من قباطى وخز وديباج، مما امر به المهدى ، والمهدى قاعد على ظهر المسجد ، مما يلى دار الندوة ينظر إليها وهى تطلىَ بالغالية ، وحين كُسِيَت(٢).

أما المرة الثالثة : التى قام فيها الشيبيون بتجريد الكعبة فقد كانت تحت وطاة أسباب وأحداث سياسية ، وقد جردوها مكرهين ، ففى ذى الحجة سنة ١٩٩هـ /يوليو ٨١٥ م سيطر العلويون على مكة أثناء ثورتهم على العباسين وارغموا سدنة

---

(١) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٦٣.
- المقريزى : الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، ص٤٢.
(٢) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٦٣.
- المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص ٥٢٠.

على حد قول رجل من الحجبة - حضر تلك الفتنة- فى اول المحرم سنة ٢٠٠هـ (١١ اغسطس سنة ٨١٥م)[١] على تجريد الكعبة من كسوتها بدعوى انها كسوة الظلمة من بنى العباس.[٢] وجلس الثائر الحسين بن حسن العلوى المعروف بالأفطس خلف المقام وهو يقول :"لا ابقى عليها شيئاً من كسوتهم شيئاً".[٣] ، "لتظهر من كسوتهم".[٤] فجردوها حتى لم يَبْقَ عليها شئ[٥] ، ثم البسوها ثياباً بيضا كانت عندهم فى خزانة الكعبة ، إلى ان اعطاهم الأفطس كسوتين إحداهما صفراء والأخرى بيضاء فوقها ، فكسوا بهما الكعبة[٦] ، واخذ الأفطس الكسى التى كانت عليها ففرقها على اتباعه[٧].

اما المرة الرابعة : التى قام فيها الشيبيون بتجريد الكعبة المعظمة فقد كان بناء على امر صادر من دار الخلافة فى بغداد ، إذا ورد كتاب ابى أحمد الموفق بالله ولى العهد من بغداد إلى والى مكة محمد بن عيسى المخزومى يامره بتجريد الكعبة ، وان تقسم كسوتها التى تطرح عنها -وعددها حوالى المائتين - على ثلاثة أثلاث: ثلث للقرشيين لقرابتهم لرسول الله ﷺ ، وثلث لحجبة الكعبة ، وثلث على أهل الحلة من اهل مكة ، وقد قرا أمير مكة الكتاب فى دار الإمارة فى حضور التجار والعامة من

---

(١) الحربى : المصدر السابق ، ص ٤٩٢.

(٢) الطبرى : للمصدر السابق ، جـ٨ ، ص٥٣٦.

(٣) الحربى : المصدر السابق ، ص ٤٩٢.

(٤) الطبرى : المصدر السابق ، جـ٨ ، ٥٣٦.

(٥) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٦٤.

(٦) الحربى : المصدر السابق ، ص٤٩٢.

(٧) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢٦٥.

أهل مكة وذلك [illegible] ليال بقين من ذى الحجة سنة ٢٦٢هـ ، ليعلم الناس بأوامر دار الخلافة فى شان تجريد الكعبة ، فجردها الشيبيون فى اليوم التالى . وقسمت كسا الكعبة كما امر ابو احمد الموفق بالله إلى ثلاثة أثلاث ، "فصار إلى قريش ثلثها ، وصار إلى الحجبة ثلثها ، وبقى ثلث العامة على يد صاحب المعونة ليقسمه بينهم".[١]

أما المرة الخامسة : التى جرد فيها الشيبيون الكعبة المعظمة من كسوتها ، فكانت فى العاشر من صفر سنة ٨٤٢هـ (٢٤يوليو سنة ١٤٣٩م) عندما جردوها من كسوتها ، وأدخلوها فى جوف الكعبة ، وذلك لإصلاح سقفها وخشبها ، وقد استمرت الكعبة مجردة عن ثيابها يومين وليلتين حتى تم الترميم والإصلاح ، فأعادوا إليها كسوتها فى ضحى الثانى عشر من صفر من السنة المذكورة[٢].

هذا وقد جردت الكعبة من كسوتها بفعل عوامل طبيعية لا دخل للشيبيين فيها ، وذلك فى سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م عندما هبت ريح عاصف شديدة بمكة ، فألقت بكسوة الكعبة ومزقتها تمزيقاً شديداً ، ومكثت الكعبة واحدا وعشرين يوماً عريانة ومجردة عن ثيابها ، حتى تم إصلاح هذه الكسوة التى مزقها الريح[٣] وكان ذلك فى حياة الشيخ إدريس بن غانم الشيبى (شيخ الحجبة فاتح الكعبة)[٤].

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، جـ٢ ، ص٢٤٧.

- ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٢٩.

(٢) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٤٨ ، ١٤٩.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .

- الكردى : المرجع السابق ، جـ٤ ، ص ٢٦١.

(٤) كان شيخاً للكعبة فى سنة ٦٥٧هـ /١٢٥٩م (الفاسى : العقد الثمين ، جـ٢ ، ص٢٧٨).

نختتم هذا المبحث بالإشارة إلى أمرين هامين :

أولاً :

(أ) أن (مقام إبراهيم) كان يكسى "من نسبة كسوة الكعبة" على حد قول القلقشندي[١].

(ب) وأن أول إشارة وردت عن (كسوة المقام) ، وأن له كسوة نجدها عند المقدسي البشاري الذي حج في موسم ٣٧٧هـ/٩٨٨م[٢]

وهذا يصحح ما ذهب إليه البعض من أن أول إشارة وردت عن (كسوة المقام) إنما كانت في النصف الأول من القرن التاسع الهجري ، كما ينقض ما اطمأن إليه البعض من "أن كسوة المقام قد استحدثت في العصر المملوكي"[٣].

(جـ) أن تلبيس كسوة المقام وخدمته والعناية به من اختصاص السدنة الشيبيين حجبة بيت الله الحرام[٤].

ثانياً : أنه كان لمفتاح الكعبة كيس من حرير يضع فيه (شيخ الحجبة وفاتح الكعبة) مفتاح بيت الله الحرام صوناً لحرمة المفتاح المبارك ففي (ذكر السبب الذي من أجله يغيب الحجبيون مفتاح الكعبة)[٥] ، ورد في الحديث : أن النبي ﷺ لما ناول عثمان المفتاح (يوم الفتح) قال له : "غَيِّبْهُ"[٦] وفي رواية "غيبوه"[٧] فلذلك يغيب

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ، جـ١ ، ص٢٨٣ .
(٢) المقدسي :المصدر السابق ، ص ٧٢.
(٣) الدقن : كسوة الكعبة ، ص ٦[illegible].
(٤) [illegible] المصدر السابق ، ورقة ١٢.
(٥) الفاكهي :المصدر السابق ، جـ[illegible] ، ص [illegible]
- ابن حجر : فتح الباري ، جـ٨ ، ص١٩.
(٦) الفاكهي :المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٢٤.
(٧) الأزرقي :المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٦٨.

المفتاح على حد قول الزهري[١] ، اقتداء بالنبي ﷺ الذي غيب المفتاح في كمه ، وفي رواية "مضطبع عليه بثوبه"[٢] قبل أن يضعه ﷺ في يد عثمان بن طلحة سادن الكعبة[٣] .

وهذا يصحح ما ذهب إليه البعض من أن الكيس قد صنع "حفاظاً على المفتاح من الضياع أو السرقة"[٤] إن أول إشارة وردت عن كيس مفتاح الكعبة وهو في يد (شيخ الحجبة وفاتح الكعبة) نجدها عن التجيبي السبتي وهو يتناول مراسم فتح الكعبة كما شاهدها يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٩٦هـ (يوليو ١٢٩٧م) وكان صاحب مفتاح الكعبة وشيخ الحجبة الذي رآه التجيبي السبتي "وبيده كيس فيه مفتاح القفل المبارك"[٥] إنما هو أحمد بن ديلم الشيبي (شيخ الحجبة وفاتح الكعبة)[٦] و"ناظر الحرم"[٧] ، الذي ولي مشيخة السدنة عام ٦٧٢هـ/١٢٧٣م حتى وفاته عام ٧١٢هـ/١٣١٣م[٨] أي في العصر المملوكي ومن ثم فإن ما قدمناه ينقض ما ذهب إليه البعض من "أن كيس مفتاح الكعبة كان يصنع ويرسل كل عام مع الكسوة الشريفة منذ العصر العثماني"[٩] كما ينقض أنه كان يصنع حفاظاً على المفتاح من الضياع أو السرقة"[١٠].

(١) الفاكهي ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص٢٢٥.
(٢) الأزرقي : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٦٨.
(٣) ابن فهد : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٥١٢ .
(٤) الدقن : المرجع السابق ، ص ٦٨ .
(٥) التجيبي السبتي : المصدر [illegible]
(٦) الفاسي : العقد الثمين ، جـ[illegible] ص [illegible]
(٧) الدهلوي : المصدر السابق ، ورقة ٣٣ .
(٨) الفاسي : العقد الثمين ، جـ٢ ، ص ٣٩ .
(٩) الدقن : المرجع السابق ، ص٧٠.
(١٠) الدقن : نفس المرجع ، ص ٦٩ .

المبحث الرابع
السدنة وغسل الكعبة وتطييبها

١- السدنة وغسل الكعبة ومراسم غسلها.
٢- السدنة وتطييب الكعبة.

١- السدنة وغسل الكعبة ومراسم غسلها.

لا يخفى ان كل شىء فى الدنيا معرض للاتساخ ، والكعبة المعظمة المشرفة مصانة محفوظة من الأوساخ ، فلا نوافذ فيها ولا فتحات سوى الباب ، ولكن قد يطرا عليها ما يوجب تنظيفها وغسلها من الغبار الذى تاتى به الرياح ، ومن إزدحام الناس على زيارتها والدخول باطنها[١] .

وغسل داخل الكعبة من اعمال السدانة ، ومن اختصاص الحجبة ، "والأصل فى غسل الكعبة لتطهيرها فى الجملة"[٢] وغسل باطن الكعبة ، سُنَّة واقتداء بالنبى ﷺ ، إذ كان عليه الصلاة والسلام اول من ابتدا غسل الكعبة ، وذلك يوم الفتح (فتح مكة) ، فبعد ان كسر الأصنام ، وأزال عنها معالم الشرك والوثنية امر بغسلها ، ففى حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ "امر بغسل الكعبة بعد أن كسر الأصنام وطمس التصاوير ، فتجرد المسلمون من الأزر ، وأخذوا الدلاء ، وارتجزوا على زمزم ، وغسلوا الكعبة ظاهرها وباطنها ، فلم يدعوا اثراً من آثار المشركين إلا غسلوه ومحوه"[٣].

ويعلق الفاسى على هذا الخبر عند ذكره لغسل الكعبة بقوله[٤]: "وإنما ذكرنا هذا الخبر لما وقع فيها من غسل الحجبة ، ويكون هذا الخبر كالشاهد بذلك" ، اما ابن ظهيرة فيقول :"وهذا الخبر فى

---

(١) الكردى : المرجع السابق ، جـ٤ ، ص ٥٤ .
(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص ١٢٠.
(٣) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٢١.
(٤) الفاسى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٢٠.

الجملة يصلح ان يكون شاهداً لما يفعله الحجبة من غسل باطن الكعبة فى كل عام[1] . أى صار قيام الحجبة بغسل الكعبة سنة متبعة من عهد رسول الله ﷺ .

على أنه ليس لدينا نص فى المصادر الإسلامية الأولى ، يوضح لنا عدد المرات التى كان السدنة الشيبيون يقومون فيها بغسل الكعبة، حتى جاء (ابن جبير) إلى مكة فى سنة ٥٧٩هـ . وسجل فى كتابة (رسالة الناسك) مشاهدته (غسل البيت بماء زمزم) بيد السدنة الشيبيين وزعيمهم محمد بن إسماعيل بن عبدالرحمن الشيبى. ومن دعوه للاحتفال بغسل بيت الله الكريم ، وذلك فى يوم الجمعة الثلاثين من رجب سنة ٥٧٩هـ (١٨ نوفمبر سنة ١١٨٣م).

وهو اليوم التالى ليوم طواف النساء بالكعبة ، ودخولهن البيت، إذ بكّر الشيبيون إلى غسله بماء زمزم المبارك ، بسبب أن كثيراً من النساء أدخلن أبناءهن الصغار والرُضّع معهنّ ، فيتحرى غسله تكريماً وتنزيهاً . وإزالة لما يحيك النفوس من هواجس الظنون فيمن ليست له ملكة عقلية تمنعه من أن تصدر منه حادثة نجَس فى ذلك الموطن الكريم والمحل المخصوص بالتقديس والتعظيم ، فعند انسياب الماء عنه كان كثير من الرجال والنساء يبادرون إليه تبركاً بغسل أوجههم وأيديهم فيه ، وربما جمعوا منه فى أوانٍ قد أعدّوها لذلك ولم يُراعوا العِلّة التى غُسِل لها . وكان منهم من توقف عن ذلك ، وربّما لحَظَ الحالَ لحظةَ مَنْ لا يستجيزها ولا يصوّب العقل فى ذلك،

(١) ابن ظهيرة : المصدر السابق ، ص١١٩.

وماظنّكَ بماء زمزم المبارك قد صُبَّ داخل بيت الله الحرام وماج فى جنبات أركانه الكرام ، ثم انصبّ بإزاء الملتزَم والركن الأسود المستلَم، اليس جديراً بأن تتلقاه الأفواه فضلاً عن الأيدى ، وتُغْمَس فيه الوجوه فضلاً عن الأقدام ؟ وحاشا لله أن تَعْرِض فى ذلك علّة تمنع منه أو شُبْهة من شبهات الظنون تدفع عنه ، والنيات عند الله تعالى مقبولة ، والمثابرة على تعظيم حرماته برضاه موصولة ، وهو المُجازى على الضمائر وخَفِيّات السرائر ، لا إله سواه[1].

هذا هو اليوم الأول الذى يقدم ، فيه الشيبيون بغسل الكعبة المشرفة .

أما عن اليوم الثانى الذى كان يقوم فيه الشيبيون بغسل بيت الله الحرام فإن أول من اشار إليه هو التجيبى السبتى فى كتابه (مستفاد الرحلة) عندما حج إلى مكة فى سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٧م وشهد الاحتفال بغسل الكعبة المشرفة على يد سدنة البيت ، وذلك فى ضحى اليوم السابع والعشرين من ذى القعدة ، فبعد فراغ زعيم الشيبيين احمد ابن ديلم الشيبى (شيخ الحجبة وفاتح الكعبة) من قطع الجزء الأسفل من كسوة الكعبة فيما يسمونه (احرام الكعبة) وأعانه على ذلك سائر الشيبيين نزل من على الكرسى الذى كان يقف عليه- وفتح باب الكعبة المعظمة ، ودخل هو وآنه وبعض من كان لهم به اعتناء. ونُقِل لهم الماء من زمزم المباركة ، وغسلوا البيت المطهر الشريف ، ثم

(١) ابن جبير : المصدر السابق ، ص ١١٦ ، ١١٧.

جمّروه، وأغلق زعيمهم الباب المكرم. ثم لم يفتحه حتى وصل أمير القافلة المصرية [١].

ويقول التجيبي السبتي: "وهكذا جرت به عادتهم على مر السنين"[٢].

ولاينسى التجيبي السبتي أن يشير إلى أن ماء غسل الكعبة إنما عمل له "حوض مفروش برمل بإزاء باب الكعبة مما يلي الركن العراقي، لصب ماء داخل البيت الشريف إذا غسل مخافة أن ينتشر على موضع المطاف" أثناء قيام السدنة بغسل الكعبة، "ورأيته كذلك ينزل فيه الماء حين غسلوا الكعبة لما قرب وصول القافلة للموسم"[٣]. وإلى هذا الحوض الذي كان يصب فيه السدنة ماء البيت إذا غسل، أشار ابن جبير، وابن بطوطة[٤].

أما ابن (فضل الله العمري) الذي حج في موسم ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م فيقول "والعادة جارية أن تغسل الكعبة المعظمة بماء زمزم في السابع والعشرين من ذي القعدة، وتُشَمَّر ستورها.. وتُلَبَّس يوم الأضحى.. وتغسل بماء الورد عند عود الركب من منى، أو ان منصرفهم" ثم يقول: "وكل ذلك حضرته في هذه السنة، وتوليته بيدي، ولله الحمد"[٥].

---

(١) التجيبي السبتي: المصدر السابق، ص ٤٦٥.

(٢) ———: نفس المصدر، والصفحة.

(٣) ———: نفس المصدر، ص٢٧٩.

(٤) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص٩٢.

(٥) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، الجزء الأول، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، ص١٠١.

أما في عصر الفاسي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م) أشهر مؤرخي مكة في القرن التاسع الهجري. فإن الكعبة المعظمة كانت تفتح في بكرة التاسع والعشرين من رجب من كل سنة لغسلها - إذ يختص النساء بدخولها في هذا اليوم أكثر من الرجال وذلك قبل غسلها- كعادة الشيبيين[١]، كما كانوا يفتحونها في "بكرة السادس والعشرين من ذي القعدة، ولا يدخلها في هذا اليوم إلا الأعيان من الناس وفتحها في هذا اليوم لأجل غسلها"[٢].

وإذا كانت عادة الحجبة آل الشيبي أن يقوموا بغسل الكعبة في بكرة السابع والعشرين من ذي القعدة وذلك بعد تشميرها أي إحرامها، في هذا اليوم، كما جرت العادة فإن معاصريه من السدنة قَدَّموا موعد غسلها يوماً وجعلوه في بكرة السادس والعشرين، والسبب في ذلك - كما يذكر الفاسي - أن الشيبيين أجروا تعديلاً على مواعيد عدد من المراسم التي كانوا يقدمون بها، إذ جعلوا تشمير كسوة الكعبة من جوانبها الأربعة إلى عتبة الباب السفلى في أول نهار الخامس والعشرين[٣] وخصصوا ضحى السابع والعشرين من ذي العقدة ليكون الذي يقطعون فيه كسوة الكعبه من فوق الباب مع ماشمروه من قبل[٤].

هذه أوقات غسل الكعبة في عصر الفاسي، إلا ان صاحب (إتحاف الورى) يذكر أن (شيخ الحجبة وفاتح الكعبة) عمر بن راجح

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام، جـ١، ص٢٠٩.

(٢) ———: نفس المصدر، والصفحة.

(٣) ———: نفس المصدر، جـ١، ص١٢٨.

(٤) ———: نفس المصدر، جـ١، ص١٢٤.

الشيبى والشيبيين قد قاموا فى يوم الخميس ثانى عشر القعدة سنة ٨٨٢هـ (١٥ فبراير سنة ١٤٧٧م) بفتح الكعبة لغسلها ، ولم يكن موعد غسلها إذ جاءهم أمر السلطان قايتباى سلطان مصر ، "ان يغسلوا الكعبة من داخلها قدر قامة" لمنام رآه السلطان ... فغسلوا ارضها وقدر قامة من جدرانها[١] بحضور ولاة الأمر بمكة ومن كان بمكة من الأعيان[٢] ، ومرة أخرى لما كان يوم الجمعة ذى سلخ القعدة بعد وصول الحاج بيومين قام امير مكة وقاضى القضاه الشافعى ، وامير الحاج وجماعة الشيبيين وغسلوا الكعبة الشريفة من خارجها قدر قامة وكذلك أرض المطاف[٣].

وهذه هى المرة الأولى التى تشير فيها المصادر إلى ان حجبة الكعبة الشيبيين قاموا بغسل الكعبة من داخلها وخارجها منذ امر رسول الله ﷺ بغسلها من باطنها وخارجها يوم الفتح فى السنة العاشرة من الهجرة[٤].

لقد كان لغسل الكعبة أهمية خاصة واحتفال عظيم ، يدعو السدنة إليهم من يهمهم من الناس ، كما كان يحضره امير مكة ، او من ينيبه ، وولاة الأمر فيها ، وأعيان المكيين ، وعظماء الحجيج والزائرين من السلاطين ، والأمراء ، والعلماء ، وأعيان المسلمين ، وجموع غفيرة ممن يسر الله لهم الوصول إلى البيت العتيق ،

(١) ابن فهد : اتحاف الورى باخبار ام القرى ، جـ٤ ، تحقيق عبدالكريم الباز ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، ص٦٢١.

(٢) عبدالعزيز ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٢.

(٣) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص٦٢١.

(٤) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص٢٢١.

فيشرفون بالمشاركة فى غسل (الكعبة البيت الحرام) ، مع آل الشيبى سدنة البيت المرموقين الذين يعدون العدة لمراسم هذا الاحتفال الكريم[١].

ولا شك ان الشيبيين كانوا يفتحون الكعبة لغسل باطنها اضطراراً إذا علت مياه السيول عتبتها ، وانساب من خلل الباب إلى داخلها[٢].

(١) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص ٤٦٥ .

- ابن فضل الله العمرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠١ .

- ابن فهد : اتحاف الدرس ، جـ ٤ ، ص ٤٦١ .

(٢) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١١ - ٢١٥ .

- ابن فهد : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ٤١٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

الشيبى والشيبيين قد قاموا فى يوم الخميس ثانى عشر القعدة سنة ٨٨٢هـ (١٥ فبراير سنة ١٤٧٧م) بفتح الكعبة لغسلها، ولم يكن موعد غسلها إذ جاءهم أمر السلطان قايتباى سلطان مصر، "أن يغسلوا الكعبة من داخلها قدر قامة" لمنام رآه السلطان ... فغسلوا أرضها وقدر قامة من جدرانها[١] بحضور ولاة الأمر بمكة ومن كان بمكة من الأعيان[٢]، ومرة أخرى لما كان يوم الجمعة ذى سلخ القعدة بعد وصول الحاج بيومين قام أمير مكة وقاضى القضاه الشافعى، وأمير الحاج "وجماعة الشيبيين وغسلوا الكعبة الشريفة من خارجها قدر قامة وكذلك أرض المطاف"[٣].

وهذه هى المرة الأولى التى تشير فيها المصادر إلى أن حجبة الكعبة الشيبيين قاموا بغسل الكعبة من داخلها وخارجها منذ أمر رسول الله ﷺ بغسلها من باطنها وخارجها يوم الفتح فى السنة العاشرة من الهجرة[٤].

لقد كان لغسل الكعبة أهمية خاصة واحتفال عظيم، يدعو السدنة إليهم من يهمهم من الناس، كما كان يحضره أمير مكة، أو من ينيبه، وولاة الأمر فيها، وأعيان المكيين، وعظماء الحجيج والزائرين من السلاطين، والأمراء، والعلماء، وأعيان المسلمين، وجموع غفيرة ممن يسر الله لهم الوصول إلى البيت العتيق،

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى باخبار ام القرى، جـ٤، تحقيق عبدالكريم الباز، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، ص٦٢١.

(٢) عبدالعزيز ابن فهد : المصدر السابق، جـ٢، ص ٥٢.

(٣) ابن فهد : المصدر السابق، جـ٤، ص٦٢١.

(٤) الفاكهى : المصدر السابق، جـ٥، ص٢٢١.

فيشرفون بالمشاركة فى غسل (الكعبة البيت الحرام)، مع آل الشيبى سدنة البيت المرموقين الذين يعدون العدة لمراسم هذا الاحتفال الكريم[١].

ولا شك ان الشيبيين كانوا يفتحون الكعبة لغسل باطنها اضطراراً إذا علت مياه السيول عتبتها، وانساب من خلل الباب إلى داخلها[٢].

---

(١) التجيبى السبتى : المصدر السابق، ص ٤٦٥.

- ابن فضل الله العمرى : المصدر السابق، جـ ١، ص ١٠١.

- ابن فهد : اتحاف الورى، جـ ٤، ص ٤٦١.

(٢) الأزرقى : المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢١١ – ٢١٥.

- ابن فهد : المصدر السابق، جـ ٤، ٤١٩، ٤٤٢، ٤٤٣.

٢- السدنة وتطييب الكعبة .

تطييب الكعبة من أعمال السدانة ، وقد جرت عادة السدنة بتطييب الكعبة فى كل عام مرتين غالباً ، فتطييبها من القربات ككسوتها[١] ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت "لأن أطيب الكعبة ، أحب إلىّ من أن أهدى لها ذهباً وفضة"[٢] ، وعنها رضى الله عنها قالت :"طَيِّبُوا البيت فإنه من تطهيره"[٣] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وطهر بيتى للطائفين﴾[٤].

وقد أفرد عدد من المؤرخين القدامى الذين أرخوا للكعبة المشرفة فصولاً تناولوا فيها (تطييب الكعبة) ، وأشاروا إلى قيام الشيبيين بذلك . لأن تطييب الكعبة من اختصاص السدنة ، فالأزرقى فى (أخبار مكة) أشار إلى تطييبهم للكعبة عندما تناول (ذكر كسوة الكعبة فى الإسلام وطيبها وخدمها وأول من فعل ذلك)[٥]، أما (المحب الطبرى) فقد أشار فى (القِرَى) إلى دور الحجبة فى تطييب الكعبة عندما تناول (ما جاء فى تجريد كسوة الكعبة) ، و(ما جاء فى تطييب الكعبة)[٦] ، كما كتب (الفاسى) فى مصنفه (شفاء الغرام) فصلا عنوانه : (ذكر طيب الكعبة وأخدامها)[٧]مشيراً إلى تطييب السدنة الشيبيين للبيت العتيق

---

(١) ابن عبدالقادر الطبرى : المصدر السابق ، ص ١٥٥.

- الميمونى : المصدر السابق ، ص٩٨.

(٢) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٥٢.

(٣) ــــــــ : نفس المصدر ، والصفحة.

(٤) سورة الحج ، آية ٢٦.

(٥) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٥٢ ، ٢٥٤.

(٦) المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص٥١٩.

(٧) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص١٢٦.

واخدامها)[٧] مشيراً إلى تطييب السدنة الشيبيين للبيت العتيق واختصاصهم بذلك ، وتبعه (ابن ظهيرة) فى (الجامع اللطيف) فى فصل عنوانه : (ذكر تطييب الكعبة الشريفة)[١].

ومن عادة سدنة الكعبة أن يطيبوها بعد غسل باطنها بماء زمزم[٢] ، ويروى المعاصرون لسادن الكعبة شيبة بن عثمان جد الشيبيين أنه كان يُخلقها ويطيبها بنفسه ، فابن أبى مليكة (ت ١١٧هـ/٧٣٥م)[٣] - الذى كان مؤذناً لعبد الله بن الزبير ، والذى كان معاصراً لشيبة بن عثمان يقول : "رأيت شيبة جردها - (أى الكعبة) وخلق جدرانها كلها ، وطيبها"[٤] ، أما السادن عبدالحميد بن جبير ابن شيبة وهو حفيد شيبة بن عثمان فيقول :"جَرَّد شيبة بن عثمان الكعبة من ثياب كان أهل الجاهلية كسوها إياها ثم خَلَّقها وطيبها"[٥]، وفى رواية لهذا الحفيد :"جرد شيبة بن عثمان الكعبة قبل الحريق ، فخلَّقها وطيبها"[٦] . أما نزيل مكة ومحدثها (سفيان بن عيينة الكوفى (ت ١٩٧هـ/٨١٢م) فيشير إلى اهتمام أعيان الحجبة بتطييب الكعبة ويشهد على ذلك بقوله :"ربما رأيت منصور بن عبدالرحمن

---

(١) ابن ظهيرة : المصدر السابق ، ص٧٠.

(٢) على بن عبدالقادر الطبرى : المصدر السابق ، ص١٥٥.

(٣) هو عبدالله بن عبيد الله بن أبى مليكة القرشى التيمى ، ولى قضاء مكة والطائف لابن الزبير ، كما كان إمام الحرم وشيخه ومؤذنه الأمين (ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، جـ١ ص١٥٣).

(٤) المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص٥١٩.

(٥) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٦٠.

(٦) المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص٥١٩.

الحجبى يُجَمِّر الكعبة"[1] . ومنصور بن عبدالرحمن (ت١٣٨هـ/٧٥٥م) أشهر أعيان السدنة فى النصف الأول من القرن الثانى الهجرى[2] .

ولما سأل جماعة الحجبة الخليفة المهدى عندما حج فى موسم ١٦٠هـ/٧٧٧م ، تجريد الكعبة خوفاً على جدرانها من كثرة الكسى التى عليها ، أمر بتجريدها ، وتطييبها ، وكسوتها[3] ، ويذكر السادن عبدالله بن إسحق الحجبى عن جدته فاطمة بنت عبدالله قولها: "حج المهدى ، فجرد الكعبة ، وطلا جدرانها من الخارج بالغالية ، والمسك، والعنبر"[4] ثم ذكرت أن زوجها السادن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الحجبى روى لها تفاصيل ذلك بقوله : " صعدنا على الكعبة بقوارير من الغالية ، فجعلنا نفرغها على جدران الكعبة من الخارج من جوانبها كلها ، وعبيد الكعبة قد تعلقوا بالبكرات التى تخاط عليها ثياب الكعبة ، ويطلون بالغالية جدرانها من أسفلها إلى أعلاها"[5] ، ثم كسيت ، "والمهدى قاعد على ظهر المسجد مما يلى دار الندوة ينظر إليها وهى تطلى بالغالية"[6] وقد قيل إن ما فى أحجارها من السمرة إنما حصل من آثار تلك الغالية[7].

---

(١) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٥٢.

(٢) الفاسى : العقد الثمين ، جـ ٧ ، ص ٢٨٥ .

(٣) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٦٢.

(٤) الغالية : نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودُهن وهى معروفة (اللسان : جـ ، ص٣٩٣ ، مادة غلا).

(٥) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٢ .

(٦) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٥ .

(٧) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٣ .

أما (الفاكهى) مؤرخ مكة الأشهر فإنه يلقى الضوء على اختصاص السدنة الشيبيين بتطييب الكعبة ، وأن ذلك من أعمال السدنة ، ويبرز تفردهم بهذا العمل دون غيرهم ، عندما ينفرد فى مصنفه (أخبار مكة) بذكر بعض أعلام السدنة الشيبيين الذين كانوا يقومون بتجمير الكعبة بأيديهم وذلك تحت عنوان :"ذكر جمار الكعبة ومَنْ كان يُجمرها فيما مضى من حجبة البيت ومَنْ فعل ذلك"[1] ، ثم ينفرد مرة أخرى برواية لشيخه محدث مكة محمد بن يحيى بن أبى عمر (ت٢٤٣هـ/٨٥٧م) يقول فيها : "رأيتُ ابن الشهيد الحجبى يُجَمِّر الكعبة بيده ، وربما أجمرها عبدالعزيز بن زرارة الحجبى بيده"[2].

كذلك ينفرد الأزرقى فى كتابه (أخبار مكة) بأن جماعة الحجبة فى يوم النصف من شعبان سنة ٢٤٢هـ (١٧ ديسمبر ٨٥٦م) ، أحضروا أجزاء القرآن وتفرقوها بينهم ، وختموا القرآن بالكعبة ، ثم أحضروا ماء ورد ، وعوداً ، ومسكاً مسحوقاً ، فَطَيَّبوا به جدران الكعبة وأرضها[3] ، وذلك فى الاحتفال الذى أقاموه بمناسبة الانتهاء من أعمال الترميم والصيانة التى أمر بها الخليفة المتوكل وشملت الكعبة والحرم[4].

كذلك جرت عادة السدنة الشيبيين أن يطيبوا الكعبة ويجمروها بعد غسلها إذ يذكر التجيبى السبتى أنه رأى "زعيم الشيبيين"[5] -

---

(١) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٥٢.

(٢) ——— : نفس المصدر ، والصفحة.

(٣) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٠٦.

(٤) ——— : نفس المصدر ، والصفحة.

(٥) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص٤٦٥.

وهو آنذاك الشيخ أحمد بن ديلم الحجبى[١] - "ومعه سائر الشيبيين"[٢] يقومون بتجمير الكعبة المشرفة بعد أن "غسلوا البيت المطهر الشريف"[٣] ، وذلك فى يوم السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ٦٩٦هـ (سبتمبر ١٢٩٧م) ، وذلك فى يوم "إحرام الكعبة" ، ثم يقول التجيبى :"وهكذا جرت عادتهم بذلك على مر السنين"[٤].

لقد كان الحجبة يطيبون الكعبة بأجود أنواع الطيب والبخور ، فكانوا يطيبونها بالغالية ، والمسك والعنبر ، وهى من أجود الأنواع التى كان يُبعث بها إلى سدنة الكعبة لتطييبها ، وكانت الكعبة فى الجاهلية "يهدى لها خَلُوق[٥] ، ومُجَمّر[٦]، وكانت تطيب بذلك بطنها ومن خارجها"[٧].

وكان طيب الكعبة يهدى إليها من الخلفاء والسلاطين وولاة الأمر

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ، جـ٣ ، ص٣٨، ٣٩.

(٢) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص٤٦٥.

(٣) ———— : نفس المصدر ، والصفحة .

(٤) ———— : نفس المصدر ، والصفحة.

(٥) المجمر : مايتحمر به ، وهو العود ، وبالضم ، مايتحجر فيه .

وحجر الكعبة : بخرها (ان تطور : لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٦٧٥ . (مادة : حجر) .

(٦) الخلوق : طيب معروف : يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ، ويطلب عليه الحمرة والصفرة .

(ان منظور : لسان العرب - جـ ٢ ، ص ١٢٤٧) . (مادة : خلق) .

(٧) المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص ٤٧٢ .

فى الدولة الإسلامية ، إذ هو من القربات ، ويسلم إلى رئيس السدنة[١] ، ويذكر (ابن جريج) أن معاوية كان يبعث بالطيب المُجْمِر والخلوق فى الموسم ، وفى رجب وكان أول من فعل ذلك[٢] ، ثم اتبعت ذلك الولاة بعد[٣] .

وفى أيام ابن الزبير كانوا يجمرون الكعبة كل يوم برطل من مُجْمِر ، كما كانوا يجمرونها كل يوم جمعة برطلين[٤] ، ولما ولى عبدالملك بن مروان الخلافة كان يبعث بالطيب والمجمر كل عام[٥] .

على أن التجيبى السبتى يذكر :"أن النفقة فى زمن أبى جعفر المنصور لم تكن فى الطيب مثلما كانت فى أيام ابن الزبير[٦] ، ويذكر ابن فهد أن الخليفة المهدى فى سنة ١٥٩هـ أو فى التى بعدها، "ألزم حجبة الكعبة تطييبها للزائرين وتجميرها"[٧] ، وأمر بالطيب للكعبة فى كل موسم وكان يسلم لشيخ السدنة[٨] ، كما كان يشهد قيام

---

(١) الزهرانى : نفقات عمارة الكعبة المشرفة فى صدر الإسلام حتى نهاية العصر العثمانى، مقال "بمجلة بحوث تاريخية"، الجمعية التاريخية السعودية ، الرياض ، ١٤٠٩هـ و١٤١٠هـ، ص٦١.

(٢) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٥٤.

- ابن الفقيه الهمزانى : المصدر السابق ، ص٧٧.

- المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص ٥٢٢.

(٣) المحب الطبرى : المصدر السابق ، والصفحة.

(٤) ———— : نفس المصدر ، والصفحة.

(٥) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١، ص ٢٥٥.

(٦) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص٢٥٨.

(٧) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢، ص٢٠٢.

(٨) الزهرانى : المرجع السابق ، ص٦١.

السدنة بتطييبها وتجميرها عندما ينزل مكة للحج[١] ، وبلغت نفقة الطيب والخلوق والشمع الذى كان يرسله الخليفة العزيز بالله الفاطمى إلى الكعبة فى كل عام عشرة آلاف دينار[٢] ، وينفرد الجغرافى أبو عبيد البكرى (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) فى كتابه "المسالك والممالك" ، وتحت عنوان : "ذكر أرزاق السدنة والحجبة فى المسجد الحرام" ... ، أن النفقة لطيب الكعبة ثلاثة آلاف دينار وستمائة دينار وسبعون ديناراً"[٣] غير أن البكرى لم يحدد تاريخ هذه النفقة أو السلطة الحاكمة التى أمرت بصرفها .

وفى وقفية السلطان الأشرف شعبان المؤرخة فى الثالث من جمادى الآخرة سنة ٧٧٧هـ والتى أوقف فيها عدداً من القرى والأماكن فى بلاد الشام على الحرمين الشريفين[٤] ، تناولت أوجه الصرف من ريع هذا الوقف ، كما قرره السلطان ، أن يصرف فى تطييب الكعبة فى كل سنة ستمائة درهم نقرة ، منها : " ما هو ثمن طيب وبخور لتطييب الكعبة ، وأركانها وتخليقها ، وتبخير من يحضر للطواف من الطائفين – ما عدا أيام الحج – ما جملته مائتا درهم نقرة وأربعون درهماً نقرة ، وما هو أجرة من يفعل ذلك فى كل سنة

---

(١) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٦٢.
- ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٠٥.
(٢) صبحى عبدالمنعم : العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين . مؤسسة العربى للنشر والتوزيع . القاهرة . ١٩٩٣م . ص٨٩، ٩٠.
(٣) أبو عبيد البكرى : جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك ، تحقيق عبدالله يوسف الغنيم. الكويت ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م . ٧٢.
(٤) راشد سعد القحطانى : أوقات السلطان الأشرف شعبان ، الطبعة الأولى ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ص ٨٩.

من النقرة ثلاثمائة نقرة وستون درهماً نقرة"[١] ، وقد استثنى أيام الحج من التطييب والتبخير لما هو معروف من النهى عن استخدام الطيب للحجاج حتى يكونوا جميعاً سواء مجردين من زينة الدنيا وزخرفها أثناء القيام بشعائر هذه الفريضة المقدسة[٢].

وكان سدنة الكعبة يحتفظون بالطيب الذى يهدى إليها فى الصناديق التى أعدوها لذلك داخل الكعبة ، وقد أشار الأزرقى إلى "الصناديق التى يكون فيها طيب الكعبة وكسوتها"[٣] صوناً لها من السرقة[٤] ، أو أن تمتد إليها أيدى الداخلين إليها للتبرك أو لغيره[٥] . كما أشار ابن فضل الله العمرى الذى دخل الكعبة واشترك مع السدنة فى غسلها وتطييبها إلى "موضع الخلوق"[٦] داخل الكعبة عندما حج فى موسم ٧٣٧هـ/١٣٣٧م[٧].

---

(١) راشد القحطانى : المرجع السابق ، ص ٢٢٧، ٢٢٨، سطر ٩٥٧ – ٩٥٩.
(٢) ——————— : نفس المرجع ، ص١٠٤.
(٣) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣٠٥.
(٤) المقريزى : إمتاع الأسماع ، جـ١ ص ٢٤٧.
(٥) الفاسى : العقد الثمين ، جـ١ ، ص ٦٠.
(٦) ابن فضل الله العمرى : المصدر السابق ، ص١٠٣.
(٧) ——————— : نفس المصدر ، والصفحة.

المبحث الخامس
عناية السدنة بالحجر الأسود وسدانة المقام

١- عناية السدنة بالحجر الأسود وصيانته.

٢- الحجبة وسدانة المقام وسلامته .

٣- جهود السدنة في تضبيب المقام وتقويته.

١- عناية السدنة (بالحجر الأسود) وصيانته.

ويقال للحجر الأسود : الركن ، والركن الأسود ، والركن لغة : الناحية القوية ، والركن : الأمر العظيم ، وركن الشيء : جانبه الأقوى ، وركَن إلى الشيء ، وتركن ويركن ركنا أى مال إليه وسكن ، أو إذا مال إلى الشئ واطمأن إليه[١].

والحجر الأسود (الركن الأسود)[٢] ملصق فى الركن الناظر إلى جهة الشرق[٣] ، أى فى الزاوية الجنوبية الشرقية من الكعبة[٤] ، وفى الحديث : "الحجر الأسود من الجنة"[٥] ، وبه ابتداء الطواف بالبيت العتيق ، وكان رسول الله ﷺ يستلمه ويُقبّله[٦] ، واستلامه وتقبيله سنة متبعة[٧] ، والاستلام المسح باليد ، والتقبيل بالفم ، قبّله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يقول : "انى لأقبلك وانى اعلم ما انت ، ولكنى رأيت رسول الله ﷺ قبلك"[٨].

وفى رواية انتهى عمر رضي الله عنه إلى الحجر وقبله وقال : "إنى رأيت أبا القاسم ﷺ بك حفياً"[٩].

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، جـ٣ ، ص١٧٢٠، مادة (ركن).
(٢) ابن حجر : فتح البارى ،جـ٣ ، ص٥٤٩.
(٣) ابن جبير : المصدر السابق ، ص٦٦.
(٤) ناصر خسرو : المصدر السابق ، ص١٤٨.
(٥) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٨٤.
(٦) المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص٢٧٩.
- ابن حجر : فتح البارى ، جـ٢ ، ص ٥٥٥.
(٧) ابن جبير : المصدر السابق ، والصفحة.
(٨) ———— : نفس المصدر ، والصفحة.
(٩) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١١٢.
- المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص ٢٧٩ .

ومن ثم عظمت العناية بالحجر الأسود وهو خليق بذلك[1]، وخليق بحرص الشيبيين عليه ومحافظتهم على سلامته وبخاصة أثناء الفتن التى تعرضت لها المدينة المقدسة ودارت معاركها فى فناء الكعبة ، فعندما حاصر (الحصين بن نمير) قائد قوات الأمويين أنصار ابن الزبير (العائذ بالبيت) سنة ٦٤هـ / ٦٨٤م ، وضربوه بالمنجنيق ، أصابت حجارته الحجر الأسود ، فانصدع ، وألقى الحجر بالأرض، فإذا هو قد إنفلق ثلاث فرق وتكسر ، وشظت منه شظية من أعلاه[2] ، مما أغضب زعيمهم جبير بن شيبة بن عثمان الحجبى وسائر الشيبيين الذين احتفظوا بتلك الشظية ، والتى ظلت عند بعض آل بنى شيبة دهراً طويلاً[3] ، بينما قام ابن الزبير فجعل الحجر الأسود فى سَرَقَة حرير فى تابوت وقفل عليه ، وأدخله دار الندوة - وهى يومئذ على مقربة من الكعبة - ثم ستر مكان الركن بثوب ، وقام بشد الحجر الأسود بالفضة ، إلا تلك الشظية التى أشرنا إليها[4] ، فكان أول من ربط الحجر الأسود[5] ولما قام بإعادة بناء الكعبة وبلغ البناء موضع الركن ، اتفق مع جبير بن شيبة وجماعة الحجبة على أن يضعوا بأنفسهم الحجر الأسود فى مكانه ، وذلك أثناء قيام ابن الزبير بإمامة الناس فى الصلاة ، ويروى السادن منصور بن عبدالرحمن الحجبى ت سنة ١٣٨ هـ/٧٥٥م عن مسافع الحجبى الذى قام بوضع الركن فى مكانه بيده مع الحجبة قوله :"لما بنى ابن الزبير البيت حتى بلغ موضع الركن ، تواعد

---

(١) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص ٢٧٥.

(٢) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ١٢٤.

(٣) ابن رشيد : المصدر السابق ، ص١٢٠.

- ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٦٢.

(٤) البلاذرى : أنساب الأشراف ، جـ٥ ، ص٢٦٩ ، ٢٧٠.

(٥) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٢٥.

الحجبة ، قال مسافع : وأنا فيهم ، فلما دخل ابن الزبير فى الصلاة ، حسبت الظهر خرج الحجبة بالركن من الصفوف وأنا فيهم ، فرفعناه ، فجاء حمزة بن عبدالله بن الزبير وأخذ بطرف الثوب فرفع معنا"[1].

غير أن هذه الفضة التى ربط بها (ابن الزبير) الحجر الأسود رقَّت وتزعزعت وتقلقلت حول الحجر الأسود ، حتى خافوا على الركن أن ينقضَ ، فلما اعتمر الرشيد سنة ١٨٩هـ/٨٠٥م وجاور وكانت علاقته طيبة بالسدنة ، أرسل إلى ابن الطحان ومولى ابن المُشْمَعِل - وكانا بصيرين بالهندسة فأمرهما بعمله"[2].

على أن الحجر الأسود تعرض لحادث هو أخطر ما تعرض له فى تاريخ الإسلام عندما اقتحم أبو طاهر القرمطى مكة ، في اجتماع الموسم يوم التروية فى السابع من ذى الحجة سنة ٣١٧هـ (١٢ يناير٩٢٠م) ، وقتل عشرات الآلاف من الحجاج ، ودخل بخيوله الحرم ، فقتل من كان متعلقاً بأستار الكعبة ، وردم بهم زمزم ، ودخل الكعبة فخربها وقتل من كان فى جوفها ، واقتلع أبوابها ، وجردها وأخذ كسوتها ، وهتك حرمتها ، ونهب جميع ما كان فيها من آثار الخلفاء التى أهدوها لها[3] ، واقتحم دار شيخ السدنة واغتصب خزانة الكعبة بها[4] وهرب الشيبيون فى شعاب مكة ومعهم (مقام

---

(١) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢١٩.

(٢) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٢٥.

- ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، الطبعة الأولى ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ٤٤.

(٣) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ٣٥٠ ، ٣٥١.

(٤) عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى ، جـ١١ ، ص١١٩.

- محمد بن عبدالملك الهَمَذانى : تكملة تاريخ الطبرى ، جـ١١ ، ص ٢٦٢.

- البكرى : جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق ودراسة عبداله يوسف الغنيم، الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م ، ص٧٩ .

- ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص١٦٠.

إبراهيم) فغيبوه عنه(١) فلما لم يجده اغتاظ، وأمر أصحابه فضربوا الحجر الأسود بدبوس فكسروه، وقيل: أنه هو الذى ضربه، ثم أمر بقلع الحجر الأسود من مكانه لأربع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة، وحمله - مع ما انتهبه من أموال الكعبة وذخائر البيت الحرام - إلى بلاده هجر، يريد أن يجعل الحج عنده، وبقى مكان الحجر الأسود من الكعبة خالياً يُدخل المسلمون أيديهم فى موضعه فى الطواف(٢).

ولم يلتفت القرامطة لوساطات رجالات الدولتين العباسية والفاطمية لرد الحجر إلى مكانه من الكعبة، وظل موضع الحجر فارغاً طوال اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة أيام، فلما كان يوم النحر من سنة ٣٣٩هـ (٢٠ مايو سنة ٩٥٠م) وافى سَنْبَر بن الحسن القرمطى مكة ومعه الحجر الأسود فوضعه بيده فى مكانه، ويقال إن الذى وضعه فى مكانه وشد عليه بالجصِّ حسن بن المزوق البناء، وكان يوماً مشهوداً بالحرم، فقد فرح المسلمون لذلك فرحاً شديداً، غير أن حالة الحجر لم تكن على ما يرام، بسبب ما أصابه من تشقق عند اقتلاعه، رغم أن القرامطة قاموا بتضبيبه بطوق من فضة، مما دفع حجبة الكعبة إلى أن قاموا بقلع الحجر الركن من مكانه فى موسم حج سنة ٣٤٠هـ (ابريل ٩٥٢م)، وادخلوه فى جوف

---

(١) ابن فهد: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٧٧.

(٢) ثابت بن سنان: تاريخ أخبار القرامطة، ضمن كتاب (الجامع فى أخبار القرامطة) جمع وتحقيق سهيل زكار، الطبعة الثالثة، دمشق، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، جـ١، ص٢٢٣، ٢٢٤.

- البكرى: المصدر السابق، ص٨٠.

- ابن فهد: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٧٧، ٢٧٨.

مكانه فى موسم حج سنة ٣٤٠هـ (ابريل ٩٥٢م)، وادخلوه فى جوف الكعبة خوفاً عليه، وأحبوا أن يجعلوا له طوقاً من فضة يشد به كما كان قديماً حين عمله ابن الزبير(١)، فكلفوا بإصلاحه صانعان حاذقان فالصقاه بالبلك، وعملا له طوقاً من فضة زنته ثلاثة آلاف وسبعة وتسعون درهماً ونصف، وأحكماه(٢)، ولم ينس بنو شيبة أثناء عملية الإصلاح هذه أن يضيفوا إلى الحجر الأسود تلك القطعة الصغيرة من الحجر التى بقيت عندهم دهراً طويلاً منذ أيام الحريق سنة ٦٤هـ، لتلصق لما كانت فى مكانها بالحجر من أعلاه(٣).

وبقى الحجر فى مكانه سالماً وموضع اهتمام الحجبة إلى أن قام رجل سوء ممن وصل مع الحاج المصرى فى موسم ٤١٣هـ / ١٠٢٢م وضربه بدبوس حديد ثلاث ضربات متوالية فى يوم النفر الأول، وذلك أثناء اشتغال الناس فى صلاة الظهر بالحرم، فتقشر وجه الحجر فى وسطه من تلك الضربات، وتساقطت منه ثلاث شظايا واحدة فوق الأخرى، فكانه ثُقب ثلاثة ثقوب، وتساقطت منه شظايا مثل الأظفار، وصارت فيه شقوق يميناً وشمالاً، وظهر موضع الكسر أسمر يضرب إلى الصفرة، وبينما أمسك الناس بالفاعل فقتلوه، وبقى الحجر على حالته هذه يومين(٤)، فإن الحجبة بنى

---

(١) الفاسى: شفاء الغرام، جـ١، ص١٩٢.

(٢) ابن فهد: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٩٩.

(٣) مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار، ص١٧.

- اليمونى: المصدر السابق، ص٢٥٦.

(٤) ابن فهد: المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٥٠.

- ابن الجوزى: المنتظم، جـ٨، ص٩.

- التجيبى السبتى: المصدر السابق، ص ٢٧٢.

- الفاسى: شفاء الغرام، جـ١، ص١٩٤.

...بة جمعوا ما تساقط من الحجر من فتات وما تناثر من الشظايا ، ...جنوه بالمسك واللك، وحشوا بها الشقوق التى أحدثتها الضربات ، ...لوها بطلاء من ذلك(١) ، فاستمسك الحجر وإن بقيت الإصابات ...وجهه ظاهرة(٢) ، يستلمه الناس ويتلبونه.

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص١٩٤.
- ابن عبدالقادر الطبرى : المصدر السابق ، ص١٥.
- اللك : صبغ أحمر تفرزه بعض الحشرات على الأشجار فى جزر الهند الشرقية ، يذاب فيكون منه دهان (المعجم الوسيط) ص
(٢) ابن الجوزى : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص٩ .
- ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص ١٤.

أ- الحجبة وسدانة المقام وسلامته .

(سدانة المقام) بيد بنى شيبة حجبة الكعبة ، وخدمته(١) والحفاظ على سلامته من أعمال السدانة واختصاص السدنة .

والمَقَامُ لغة : موضع القدمين(٢).

ومقام إبراهيم هو الحجر الندى الذى وقف عليه إبراهيم الخليل عليه السلام لما بنى الكعبة(٣) ، وفيه أثر قدميه عليه السلام(٤)، وخلف المَقام صلى رسول الله ﷺ يوم الفتح وفى حجة الوداع(٥)، لقول الله تعالى (واتخذوا من مَقام إبراهيم مُصَلًّى)(٦).

و(المقام) حجر مقدس ، ففى الحديث -بإسناد حسن- عن سادن الكعبة مسافع بن شيبة أحد بنى شيبة أنه سمع عبدالله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما- يقول بين الركن والمقام :اشهد بالله لسمعت رسول الله ﷺ يقول : "الركن والمقام يا قوتتان من يواقيت الجنة طمس الله -تعالى- نورهما ، ولولا ذلك لأضاء نورهما ما بين المشرق والمغرب"(٧) . ويصفه سادن الكعبة عبدالله بن شعيب الشيبى أحد السدنة المعاصرين للخليفة المهدى العباسى بأنه:

---

(١) الدهلوى : المصدر السابق ، ورقة ١٢ .
(٢) ابن منظور : لسان العرب ، جـ٥ ، ص٣٧٨١ ، مادة (قوَم) .
(٣) الخوارزمى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٢٩.
- الأسفرايينى : المصدر السابق ، ص١٤٧.
- الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص٢٠٢.
(٤) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٤٢ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠.
(٥) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٥٠٥ ، ٥٧٤.
(٦) سورة البقرة : آية (١٢٥).
(٧) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٤٠ ، ٤٤١.

"حجر رخو"(١) يشبه الشنان فى المنظر(٢) لونه "اغبش ومكسره مكسر الرُّخام الأبيض"(٣) على حد قول الفاكهى الذى يقول : "وعرض المقام من نواحيه إحدى وعشرون أصبعا ، ووسطه مربع، والقدمان داخلتان فى الحَجَر سبع أصابع ودخولهما منحرفتان ، وبين القدمين من الحَجَر اصبعان ، ووسطه قد استدق من التمسح به"(٤) للتبرك.

ويقع (مقام إبراهيم) فى شرقى الكعبة أي فى وجه الكعبة ، والمسافة بينه الكعبة قرابة عشرين ذراعاً(٥) ، وهو موضعه فى عهد النبى ﷺ(٦) ، والمقام فى حوض من ساج مربع ... وعلى المقام صندوق ساج مقبو ، ومن وراء المقام ملبس ساج فى الأرض ، فى طرفيه سلسلتان تدخلان أسفل الصندوق ويقفل فيهما قفلان(٧) وذلك لتثبيت الصندوق وحتى لا تمتد الأيدى إلى المقام بالتطاول(٨) أو السرقة(٩) .

وينفرد الفاكهى بانه كان يقوم على المقام قَيِّمَان وهما سادنان من سدنة الكعبة - وبيدهما مفتاحا القفلين ، حتى إذا خرج السلطان-الخليفة أو الوالى - للصلاة ، وأقيمت الصلاة ، وقام

---

(١) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٦.

(٢) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٧٦.

(٣) ——— : نفس المصدر ، والصفحة.

(٤) ——— : نفس المصدر ، جـ١ ، ص٤٨١.

(٥) ناصر خسرو : المصدر السابق ، ص١٥١.

(٦) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٥.

(٧) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٨٢.

- الفقيه الهمذانى : البلدان ، عالم الكتب ، بيروت ، ص٧٧.

(٨) ناصر خسرو : المصدر السابق ، ص١٥١.

(٩) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص٢١٠.

الإمام فى مصلاه ، أسرع السادنان بفتح القفلين فكشفا له عن المقام حتى يصلى بالناس والمقام مكشوف ، فإذا قضى الصلاة اقفلاه إلى مثابا"(١) ، وعن قيام السدنة بكشف المقام عند الصلاة يقول الفاكهى: "وإنما كان يكشف للخليفة ولوالى مكة لا غيرهما"(٢) حتى إذا كانت سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م وما بعدها عاد السدنة يقومون أيضاً بكشف المقام فى أوقات الصلاة لأصحاب الشرط ، وأصحاب الحرس ، وكان ذلك فى عصر الفاكهى(٣).

ويبدو أن فتح باب صندوق المقام ، وكشف المقام أوقات الصلاة عند قيام الإمام فى مصلاه كان من عمل سدنة الكعبة استمر ردحاً طويلاً من الزمن ، فالمقدسى البشارى الذى حج إلى بيت الله الحرام فى سنة ٣٧٧هـ/٩٨٨م(٤) ، يشير إلى انه فى غير أوقات الموسم - كان يُكَب على المقام "صندوق خشب له باب يفتح أوقات الصلاة ، فإذا سلّم الإمام استلمه ، ثم أغلق الباب"(٥) ، كما يشير ابن جبير الذى حج فى موسم ٥٧٩هـ/١١٨٤م أنه لما اعتمر الأمير مكثر بن عيسى والى مكة فى شهر رجب سنة ٥٧٩هـ (١١٨٣م) ، وفرغ من الطواف ، جاء إلى المقام وصلى خلفه ، وقد أخرج له السدنة المقام من الكعبة ، ووضعوه فى قبته الخشبية ، فلما فرغ من صلاته رفعوا له القبة عن المقام فاستلمه ، وتسمح به، ثم اعيدت القبة عليه(٦)مما

---

(١) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٨٢.

(٢) ——— : نفس المصدر ، والصفحة .

(٣) ——— : نفس المصدر ، والصفحة.

(٤) كرا تشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، نقله عن الروسيه ، صلاح الدين هاشم ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، ص٢٢٨.

(٥) المقدسى : احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن ، ١٩٠٦م ، ص٧٢، ٧٣.

(٦) ابن جبير : المصدر السابق ، ١٠٩.

يدل على أن السدنة كانوا مايزالون على عادتهم بكشف (حَجَر المقام) لولاة الأمر من حكام المسلمين فى أوقات الصلاة بموضعه من حرم الكعبة منذ عصر المؤرخ الفاكهى إلى عصر الرحالة ابن جبير[١].

وتشير المصادر إلى أن حَجَر المقام لم يكن فى موضعه مؤبداً ، وأنه كان يوضع فى مكانه ويرفع ، فأحياناً يضعه السدنة فى الكعبة[٢] إذا اشتد زحام الطائفين - كما رآه ابن جبير - فى البيت (موضع داخل الكعبة) الذى فيه الدرجة التى يصعد منها إلى سطح الكعبة "احتياطاً عليه"[٣] ، أما إذا جعلوه فى موضعه فى وجه الكعبة ليدخل فى الطواف أيام الموسم ، فإنهم كانوا يكبون عليه "صندوق حديد عظيم راسخ فى الأرض طوله أكثر من قامة"[٤] ، ليكون أحمل للإزدحام[٥] ، فإذا انتهى الموسم وضعوا عليه قبته الخشبية التى يصلى خلفها[٦] ، وفى ذلك يقول التجيبى السبتى الذى حج فى موسم ٦٩٦هـ/١٢٩٧م : "والمقام الكريم" له مكب من خشب ينزل عليه حفاظاً له ، وعليه قفل بيد الشيبيين سدنة البيت الشريف ، وهو فى داخل القبة"[٧].

(١) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٨٢.
- ابن جبير : المصدر السابق ، ص١٠٩.
(٢) المقدسى : المصدر السابق ، ص٧٢.
(٣) ابن جبير : المصدر السابق ، ص
(٤) المقدسى : المصدر السابق ، ص٧٢.
(٥) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص٢٠١.
(٦) المقدسى : المصدر السابق ، ص٧٢.
- ويذكر مؤلف كتاب (الإستبصار فى عجائب الأمصار) الذى كان يسطر مادته فى شهر رمضان سنة ٥٨٧هـ / سبتمبر ١١٩١م أن تلك القبة أو المكبة كان يضرب عليهما قفلان، الواحد من جانب زمزم والآخر من جانب دار الندوة (مجهول : الاستبصار ، ص٢٠).
(٧) التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص٢٩٢.

لقد كان المقام الشريف محل اهتمام الحجبة الشيبيين على طول امتداد تاريخ سدانتهم لبيت الله الحرام ، ففى الجاهلية كانوا يضعونه فى جوف الكعبة حرمة له وحرصاً عليه ، كأثر مقدس ، كما كانوا أحياناً يخرجونه من جوف الكعبة فيضعونه فى محله أمام الكعبة ليشاهدوه فى احترام شديد وشوق إليه[١]، كما كانوا يدعون عنده[٢] ، وأحياناً يرجعونه إلى جوف الكعبة بحسب ما تقتضيه الأحوال خوفاً عليه من السيول[٣] ، وأحياناً يلصقونه بالبيت خيفة السيل.

وفى الإسلام زاد اهتمام سدنة الكعبة بالمقام الشريف ، والحرص البالغ فى الحفاظ عليه ، مما قد يتعرض له من بلل أو أذى بسبب السيول ، فعندما اقتلع السيل المعروف (بسيل أم نهشل) مقام إبراهيم ، وذهب به من موضعه حتى وجد أسفل مكة ، وعُفّيَ مكانه الذى كان فيه بفعل السيل ، وذلك سنة ١٧هـ/٦٣٨م ، فى أثناء سدانة عثمان بن طلحة شيخ السدنة ، أوتى بالمقام وألصقوه بالكعبة فى وجهها وربطوه بأستارها ، ثم كَتبوا إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأقبل فزعاً ، فدخل بعمرة ، وردّ المقام مكانه وجعلوه على ربضة مرتفعة وضعوه عليها[٤].

ولما كان بيد الشيبيين مفتاح قفل صندوق المقام ، ومفاتيح السلاسل التى تشد الصندوق بقاعدته الخشبية المتلاصقة

(١) الكردى : المرجع السابق ، جـ٤ ، ٤٢ ، ٤٣.
(٢) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٥٠.
(٣) الكردى : المرجع السابق ، جـ٤ ، ص٤٣.
(٤) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص٢٠٥ -٢٠٩.
- ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٧ ، ٨.

بالأرض(١)، وكذلك مفاتيح القبة الحديدية التى تحمى صندوق المقام، فقد كان بإمكان السدنة فتح باب الصندوق ونقل حجر المقام إلى داخل الكعبة وقاية له من أخطار السيول التى أصاب بعضها مدينة مكة بأضرار بالغة .

ففى سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م "رفع المقام من مكانه لما خيف عليه أن يذهب به السيل"(٢) ، الذى دخل المسجد الحرام ، وأحاط بالكعبة وبلغ ارتفاع الماء دون الحجر الأسود بذراع(٣) . وعندما اقتحم سيلٌ عظيم الخطرِ المسجَد الحرام فى سنة ٢٠٨هـ /٨٢٣م ، وأحاط بالكعبة وبلغ الحجر الأسود ، رفع السدنة المقام من مكانه لما خيف عليه من السيل(٤) . ويذكر الفاكهى الذى شهد السيل الخطير الذى تعرضت له مكة سنة ٢٦٢هـ/٨٧٦م ، أن الحجبة رفعوا حَجر المقام من موضعه ، وادخلوه فى الكعبة خوفاً عليه . عندما دخل السيل المسجد وبلغ قريباً من الحَجَر ، وان الحجبة جاءوا إلى الفضل بن العباس والى مكة "فاخبروه بذلك ، وانهم يخافون على المقام"، وانهم(٥) "وجدوا الماء قد عمل فى كرسى الخشب فأكله متقدماً حتى افسده واخربه"(٦) . وان الوالى قد امر بتجديد الربضة الحجارة التى

(١) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٨٢.
– التجيبى السبتى : المصدر السابق ، ص ٢٩٣.
(٢) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٧٠.
(٣)———: نفس المصدر ، والصفحة.
(٤)———: نفس المصدر ، والصفحة.
(٥) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ٤٨٢.
(٦)———: نفس المصدر ، جـ١ ، ص٤٨٣.

يوضع عليها المقام ، وان "اناساً من الحجبة" حضروا بناء هذه القاعدة التى امر الوالى ان تكون بإرتفاع ذراع وعلى مقدار موضع المقام ، وانهم حضروا عمل الصندوق الخشبى الجديد الذى امر الوالى بصنعه بدل الصندوق الذى عمل فيه ماء السيل فأكله حتى افسده وخربه ، وأنهم احتفظوا بحجر المقام داخل الكعبة مدة شهر واحد إلى ان ردوا المقام إلى موضعه على هذا البناء الجديد(١).

وإلى ذلك أشار ابن عبدربه فى (العقد الفريد) فقال : "والحجر (المقام) موضوع على منبر لئلا يمر به السيل ، فإذا كان وقت الموسم وضع عليه تابوت حديد مثقب لئلا تناله الأيدى"(٢).

ورغم أن مكة تعرضت لعدة سيول مهولة وبخاصة فى سنوات ٥٩٤هـ ، ٧٣٨هـ ، ٨٠٢هـ ، ٨٢٥هـ ، ٨٢٧هـ ، وان بعضها قلع أبواب الحرم، وبلغ عند الكعبة قدر قامة ، ودخلها من خلل الباب ، وان بعض هذه السيول علا ماؤها على عتبة باب الكعبة قدر ذراع او أكثر، إلا أن الفاسى الذى عاصر الثلاثة سيول الأخيرة لم يلق الضوء على ما قام به السدنة لوقاية هذا الأثر المقدس من أخطار السيول(٣).

ويبدو أنهم –من خلال قراءتنا للأحداث المتعلقة بالكعبة– كانوا ينقلون المقام الشريف وما يخص الكعبة إما إلى دار شيخ الحجبة

(١) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٨٣.
(٢) ابن عبدربه : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص٢٨٦.
(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧-٢٦٩.

ويبدو أنهم -من خلال قراءتنا للأحداث المتعلقة بالكعبة- كانوا ينقلون المقام الشريف وما يخص الكعبة إما إلى دار شيخ الحجبة (دار المفتاح) ، وإما إلى دار الإمارة .. كما يذكر ابن فهد أنهم كانوا يقومون بغسله وتنظيفه وتطييبه إذا ما تطلب الأمر ذلك[1].

(ب) جهود السدنة في تضبيب المقام وتقويته :

فى سنة ١٦١هـ/٧٧٨م تصدر أول إشارة فى المصادر التاريخية إلى أن حجر المقام قد وَهَى ، وأن الحجبة قد ذهبوا يرفعونه فانثلم[2] "وذلك أن المقام حجر رخو" ، وأنهم قد خشوا أن يتفتت أو يتداعى، فكتبوا بذلك إلى الخليفة المهدى العباسى أمير المؤمنين ، فبعث إليهم بألف دينار أو أكثر ، فضببوا بها أعلى المقام وأسفله"[3]، ويوثق الأزرقى هذه الرواية فيذكر أن جده (أحمد الأزرقى)- الذى كان يعمل مؤذناً بالمسجد الحرام - سمع معاصره عبدالله بن شعيب بن شيبة بن جبير بن شيبة الحجبى يقول :ذهبنا نرفع المقام فى خلافة المهدى ، فانثلم ، وهو حجر رخو يشبه الشنان، فخشينا أن يتفتت أو : يتداعى ، فكتبنا إلى المهدى ، فبعث إلينا بألف دينار ، فضببنا بها المقام أسفله وأعلاه"[4].

---

(١) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٩.

- يذكر ابن فهد فى حوادث سنة ٨٣٢هـ أنه "فى ليلة عاشوراء وجدت نجاسة فى مقام ابراهيم اما عذرة أو خر - (هكذا) ، فغُسِّل المقام ونُظِّف وطُيِّب" (ابن فهد : المصدر السابق، جـ٤ ، ص٢٩.

(٢) انثلم : انكسر من شيئه شئ ، ثلم الإناء : كسر حرفه (ابن منظور : لسان العرب ، جـ١، ص٥٠٢ ، مادة (ثلم).

(٣) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٧٦.

الضب والتضبيب : تغطية الشئ كيلا ينفلت ، وضَبَّبْتُ الخشبَ ونحوه : ألبسته الحديد (ابن منظور : لسان العرب ، جـ٤ ، ص٢٥٤٤ ، مادة : ضَبَّبَ).

(٤) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٦.

- ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢١٢.

حجر المقام وصيانته ، أو التنبيه إلى ذلك على امتداد العصر الإسلامى ، الأمر الذى يدعونا إلى إلقاء الضوء على الأسباب التى أدت إلى ضعف حجر المقام واستقداده واتساع موضع قدمى إبراهيم عليه السلام وضياع ملامح أصابع القدمين واخمص قدميه والعقب[1].

ومن هذه الأسباب :

أولاً : كثرة مسح الناس بأيديهم للمقام تبركاً ، وهو حجر رخو ، لا يحتمل كثرة مسح الأيدى به[2] ، ولقد رأى عبدالله بن الزبير قوماً يمسحون المقام بأيديهم فنهاهم عن ذلك بقوله : "إنكم لم تؤمروا بمسحه ، وإنما أمرتم بالصلاة عنده"[3] ، وأما عطاء بن يسار فقد كره أن يُقَبِّل الرجل المقام ويمسحه"[4].

ثانياً : صبُّ ماء زمزم فى تجويف القدمين والشرب منه للتبرك وكان السدنه يمكنون الناس من ذلك ، ولا ننسى أن سادن الكعبة عبدالله بن عثمان بن إبراهيم الحجبى قد حمل حجر المقام ودخل به (دار الندوة) حيث كان ينزل الخليفة المهدى سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م ، فتمسح به المهدى ، وسكب فيه ماء ثم شربه ،

---

(١) العبدرى : رحلة العبدرى المسماه الرحلة المغربية ، تحقيق محمد الفاسى ، جامعة محمد الخامس ، ١٣٨٨هـ /١٩٦٨ ، ص١٧٧.

(٢) الأزرقي : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٠.

- الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٥٠ ، ٤٧٥ ، ٤٧٩.

(٣) الفاكهى : نفس المصدر ، جـ١ ، ص٤٥٧.

(٤) ـــــــ : نفس المصدر ، جـ١ ، ص٤٥٨.

ثم دعا بعض أهله فشربوا فيه، وتمسحوا به(١). أما الفاكهى فيذكر بأنه فى يوم السبت لست خلون من شهر ربيع الأول سنة ٢٥٦هـ/ ١٢ فبراير سنة (٨٧٠م) أرسل على بن الحسن (والى مكة) إلى الحجبة فاحضروا المقام (إلى دار الإمارة)، وحضره أيضاً جماعة من الناس، فمسحوا المقام، وصبُّوا فيه من ماء زمزم فشربوا، وأخذوا فى القوارير والكيزان، ودعوا الله -تعالى- وذكروه، وذكروا خليله إبراهيم عليه السلام(٢). وكان ذلك فى حضور الفاكهى(٣). أما ابن جبير فيقول عن حجر المقام - وقد حج فى سنة ٥٧٩هـ : "عايناه، وتبركْنا بلمسه وتقبيله، وصُبَّ لنا فى أثر القدمين المباركين ماء زمزم فشربناه. نفعنا الله به"(٤). أما التجيبى السبتى الذى حج سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٧م، ورأى ما أصاب المقام فيقول: "وقد امَّحى أثر القدمين المباركين، واخلولق، ولم يبق للأصابع المباركة أثر، وإنما فيه الآن حفرتان، وذلك -والله أعلم- بكثرة لمس الناس لهما. وإنما امروا بالصلاة عند المقام ولم يؤمر بلمسه، وكذلك رأيتهم يفعلون الآن بأيديهم ويشربون فيهما ماء زمزم"، ويستنكر التجيبى ذلك بقوله: "وذلك كله محدث، لم يكن

---

(١) الأزرقى : المصدر السابق، جـ١، ص ٣٧.
- الفاكهى : المصدر السابق، جـ١، ص٤٧٦.
(٢) الفاكهى : نفس المصدر، جـ١، ص ٤٧٩.
(٣)———— : نفس المصدر، والصفحة.
(٤) ابن جبير : المصدر السابق، ص٦٢.

السلف رحمة الله عليهم يفعلونه"(١)، ثم روى عن ابن الزبير ومجاهد رضى الله عنهما كراهية تقبيل المقام ولمسه(٢).

ثالثاً : كثرة البلل الذى أصاب حجر المقام من جراء السيول أو الماء الذى يتخلل صندوق المقام عند هطول الأمطار، وما يعمله فى قاعدته الخشبية، وتأثير رطوبة الماء فى حجر المقام(٣).

رابعاً : كثرة نقل المقام من موضعه سواء إلى داخل الكعبة أو دار الندوة أو دار الإمارة لسبب أو لآخر أدى إلى تداعى حجر المقام الشريف وهو أثر قديم وهو ما أدى مع الأسباب السابقة إلى تداعيه وتفتته وانفراطه إلى سبع قطع قد زال عنها الألصاق وذلك عندما أرادوا تضبيبه فى ربيع الأول سنة ٢٥٦هـ(٨٥٠م)(٤).

على أيه حال كان تضبيب المقام وتحليته على يد السدنة الشيبيين فى عهد الخليفة المهدى سنة ١٦١هـ/٧٧٨م أول تحلية وكذا أول تضبيب لمقام إبراهيم فى العصر الإسلامى(٥). ثم توالى اهتمام

---

(١) التجيبى السبتى : المصدر السابق، ص٢٩٢.
- وانظر : العبدرى الذى حج فى موسم سنة ٦٨٩هـ وكراهته التمسح بالمقام (العبدرى، رحلة العبدرى، تحقيق محمد الفاسى، جامعة محمد الخامس، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص١٧٥.
(٢) التجيبى السبتى : المصدر السابق، ص٢٩٢.
(٣) الأزرقى : المصدر السابق، جـ٢، ص٣١٠ -٣١٩.
- ابن فهد : المصدر السابق، جـ٢، ص٧، ٨.
(٤) الفاسى : شفاء الغرام، جـ٢، ص٢٦٠ -٢٦٩.
———— : الزهور المقتطفة، ص٢١٧-٢٢١.
(٥) الأسفرايينى : المصدر السابق، ص ١٤٨.
- الفاسى : شفاء الغرام، جـ١، ص٢٢٠.
———— : الزهور المقتطفة، ص٧٥،
اليمونى : المصدر السابق، ص ٣٠٢.

الحجبة بتضبيب المقام وتحليته بقصد إصلاحه وتقويته . ففى عهد الرشيد التى كانت مطالبة بالحجبة تم ضبط وإصلاح ما على المقام من تحلية عندما تخلخلت(١) . ثم زاد الخليفة المتوكل فى رمضان سنة ٢٣٦هـ/٨٥١م ما على المقام من تضبيب وتحلية ثمانية الاف مثقال من الذهب وسبعين الف درهم من الفضة(٢) ، ولما كان هذا عملاً عظيماً لإصلاح المقام وتقويته ، فقد كتب الحجبة إلى الخليفة المتوكل على الله فى سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م أن الكرسى المنصوب المقعد فيه المقام ملبس صفائح من رصاص ، وانه لو عمل مكان الرصاص فضة كان أشبه وأوفق له"(٣) فامر المتوكل بعمل ذلك استجابة لنداء الحجبة ، وأرسل إسحق بن سلمة الصائغ ومعه جماعة من الصناع فعمل الفضة على كرسى المقام مكان الرصاص الذى عليه ، واتخذ له قبة من خشب الساج مقبوة الراس بضبات لها من حديد ، ملبسة الداخل بالأدم ، ودخل فى ذلك من الفضة آلاف الدارهم(٤) .

غير ان هذه الحلية الثمينة التى ضبب المتوكل بها المقام لم تدم طويلاً ، إذ قلعها عامل مكة جعفر بن الفضل وضربها دنانير ودراهم عندما احتاج إلى النفقات فى قتال إسماعيل بن يوسف العلوى الذى أثار الفتنة فى مكة والحجاز فى سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م ، ولم تبق على المقام إلا حلية المهدى ، ووهن ما على حجر المقام من تضبيب،

(١) الأزرقى : الأرزقى ، جـ٢ ، ص٢٣٦ ، ص ٢٢٨.

(٢) ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٠٢.

(٣) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٧٥.

(٤) ـــــ : نفس المصدر ، جـ١ ، ص ٤٧٦.

- ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣١٧.

وعندما حاول الحجبة إصلاحه سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م تبيّن لهم سوء حالة المقام ، وتداعيه ، وظهر سبع قطع قد زال عنها الإلصاق، مما أفزع الحجبة ، ودفعهم فى المحرم سنة ٢٥٦هـ/٨٦٩م إلى الإجتماع بوالى مكة على بن الحسن العباسى(١) ، وفى ذلك يذكر الفاكهى - الذى سجل يوميات اجتماعهم بالوالى - وقائع ترميم المقام فيقول: "دخل عليه قوم من الحجبة وأنا عنده ، فكلموه فى المقام ، وقالوا : إنه قد وَهَى ، وتسللت أحجاره ، ونحن نخاف عليه ، فإن رأيت أن تجدد عمله وتضبيبه حتى يشتد ، فاجابهم إلى ما طلبوا من ذلك"(٢)، وزادهم ذهبا وفضة على حليته الأولى ، ودعا الصاغة إلى دار الإمارة ، وأحضر الحجبة المقام ، فقلع الذهب والفضة عنه فإذا الحجر سبع قطع قد انفرطت وزال عنها الإلصاق، فأُخِذَت القطع فجُعِلَت فى ثوب وختم عليه بخاتم ، وأخذه السدنة لحفظه ، ثم أمر الوالى الصاغة بعمل طوقين من ذهب وطوق من فضة لتضبيب المقام، فانجزاهما فى بقية المحرم وصفر ثم يقول الفاكهى : "حتى إذا كان يوم الاثنين الأول من ربيع الأول سنة ٢٥٦هـ، أرسل على بن الحسن (والى مكة) إلى الحجبة يامرهم بحمل المقام إلى دار الإمارة، ليركبوا عليه الطوقين اللذَيْن عُمِلا له على ما وصفنا -ليكون أقل لزحام الناس ، فأتوا به إلى دار الإمارة وأنا عنده ، وعنده جماعة من الناس من حملة العلم وغيرهم ، فى ثوب يحملونه حتى وضعوه بين يديه"(٣) ، ثم يشير الفاكهى إلى أن الذى شد حجر المقام شداً جيداً

(١) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ٤٧٧.

- الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص٢٠٢ ، ٢٠٣.

(٢) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٧٧.

(٣) ـــــ : نفس المصدر ، والصفحة.

حتى التحق إذ اما ... بشر الخادم مولى أمير المؤمنين المعتمد العباسى ، وكان قد قدم فى هذه السنة على عمارة المسجد الحرام ومسجد النبى ﷺ . ثم يقول الفاكهى : "وتمسح الناس بالمقام ... وقلبوه ونظروا ونظرت معهم"[1] ... ثم اتى بالطوقين فقدرا على المقام فضاقا عنه ، فأمر الحجبة برد المقام إلى موضعه ، كما امر بالطوقين ان يوسعا حتى ياتى ذلك على القدر ، فلما كان يوم السبت لست ليال خلون من شهر ربيع الأول أرسل الحسن بن على الحجبة فاحضروا المقام ، وحضر ايضاً جماعة من الناس ، فمسحوا المقام ، وصبُّوا فيه من ماء زمزم فشربوا واخذوا فى القوارير والكيزان"[2]، ثم رُكِّب الطوق الأسفل ، فحضرت الصلاة ، فرد الحجبة المقام إلى موضعه ، حتى إذا كان يوم الأحد احضروا المقام إلى دار الإمارة، فركب الطوق الأعلى عليه ثم حمل السدنة المقام بعد اشتداده بالإلصاق والانتهاء من تركيب الحلية التى عملت له بشده ايضاً عليه فى الثامن من ربيع الأول سنة ٢٥٦هـ ، وكان جملة ما عليه من الذهب الفى مثقال إلا ثمانية مثاقيل[3]، ثم زيد ذهبا فى سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م عند عمل عملاً جديداً[4] ، وظل هذا الذهب لم يقلع عنه وفى حراسة السدنة ، حتى إذا كانت سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٨م سرق ما على المقام من الذهب[5] ، وكان يلى السدانة آنذاك محمد

---

(١) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٧٨.

(٢) ـــــ : نفس المصدر ، جـ١ ، ص٤٧٩.

(٣) ـــــ : نفس المصدر ، جـ١ ، ص٤٧٨.

(٤) ـــــ : نفس المصدر ، جـ١ ، ص٤٨٢.

(٥) الخوارزمى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٢١.

ابن ابى بكر الشيبى شيخ الحجبة وفاتح الكعبة[1] ، على أن الخوارزمى الذى انفرد بذكر هذا الحادث ، لم يوضح ظروف هذه السرقة ، ولم يأت مزيداً من التفاصيل على سرقة ذهب المقام ، علماً بأن المقام كان فى صندوق من حديد ، وحوله شباك من حديد آنذاك[2] . وإذا كان الخوارزمى يشير إلى أن هذه السرقة تمت فى (حكومة) اى فى أثناء ولاية القاضى شهاب الدين احمد الطبرى للقضاء بمكة ، كما كان هو الناظر بحرم الله الشريف"[3] -اى نظارة الحرم- فإن الفاسى يشير إلى كثرة خصوم القاضى الطبرى، "فتسلط أعداؤه عليه"[4] ، وكثرت وشايتهم به عند السلطات الحاكمة بمصر ، ونقلهم عنه أشياء قبيحة ، كما يشير إلى ثرائه الواسع وكثرة أمواله[5] ، والسؤال : فهل دبَّر خصومه سرقة ما على المقام من الذهب ، بحكم نظارته للحرم - والمقام فى ساحة الحرم - للتشهير به والنكاية فيه ، والعمل على إضعافه وزعزعته أمام السلطة التى قلدته ولاية القضاء ثم نظارة الحرم؟

على أية حال فإن كلاً من الإسفراييني الذى كان معاصراً للقاضى ، والخوارزمى الذى ذكر الحادث ، يشيران إلى أن القاضى الطبرى هو الذى قام بعمل ما استجد مما على المقام من فضة[6].

---

(١) الفاسى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٢٤.

(٢) الاسفراييني : المصدر السابق ، ص ١٢٠.

- الخوارزمى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٤٨.

(٣) الفاسى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٦٢.

(٤) ـــــ : نفس المصدر ، والصفحة.

(٥) ـــــ : نفس المصدر ، والصفحة.

(٦) الاسفراييني : المصدر السابق ، ص ١٤٩.

- الخوارزمى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٢١.

عوضا عن الذهب الذى سرقه السُرّاق . ومن ثم فإن الحادث كان القصد منه النيل من ناظر الحرم ، وليس من سدنة الكعبة الذين ظلت أعينهم ساهرة للحفاظ على كل ما يخص البيت العتيق ، ولا ننسى أنه عندما هاجم أبو طاهر القرمطى مكة فى موسم ٣١٧هـ/ ٩٣٠م[١]، وقتل كثيراً من الحجاج فى حرم الكعبة ، ونهب معاليقها وكسوتها وخزانتها ، وخلع بابها ، وقلع الحجر الأسود من مكانة وحمله معه إلى هجر ، وأراد أخذ المقام من موضعه فلم يجده فتألم لفقده ، ولم يظفر به ، لأن سدنة الكعبة آل الشيبى ، هربوا به ، وأخفوه فى بعض شعاب مكة حتى إذا رحل أبو طاهر عن مكة ، أعاد السدنة المقام إلى مكانه ، ليبقى فى موضعه من البيت العتيق -كما هو- آية بينة ، وفى التنزيل : ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾[٢].

---

(١) ثابت بن سنان الصابى : تاريخ أخبار القرامطة ، ضمن كتاب (الجامع فى أخبار القرامطة) ، جمعه وحققه سهيل زكار ، الطبعة الثالثة ، دمشق ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، جـ١ ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤.

- الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص ٢١٠ .
- ابن فهد : المصدر السابق ، جـ٢ ، ٢٧٧.
- القطبى النهزاونى : المصدر السابق ، ص١٩٧ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٩٧.

المبحث السادس
السدنة وإعداد فرش المطاف والمحافظة على هيبة الكعبة

١- السدنة واعداد فرش المطاف للطائفين.

٢- كراهة السدنة أن يكون حول الكعبة بناء يشرف عليها.

١- السنة وابتداء فرض الطواف للطائفين :

المطاف في اللغة : موضعُ الطواف حول الكعبة ، وطَافَ حولَ الشئ يَطُوفُ طَوْفاً وتَطَوَّفَ واستَطَافَ كله بمعنى ، وطَافَ بالبيت وأطَافَ عليه[1] : دارَ حَوْلَهُ. وفى التنزيل (ولْيَطَّوَّفُوا بالبَيْتِ العَتِيقِ)[2]، هو دليل على ان الطواف بالبيت يوم النحر فرض ، وفى الحديث ذِكْرُ الطَّوافِ بالبَيْتِ ، وهو الدَّوَرَانُ حَوْلَهُ ، تَقُولُ : طُفْتُ أطُوفُ طَوْفاً ، وَطَوافاً ، والجَمْعُ الأطواف[3].

والطواف سبعة أطواف ، والابتداء من الحجر الأسود[4] وفى الحديث :«إنما جُعِلَ الطَّوَافُ بالبيت .. لإقَامةِ ذِكْرِ الله»[5] ، وعن عائشة وعروة بن الزبير رضى الله عنهما : «أن أول شئ بدأ به النبى ﷺ حين قدم مكة ، انه توضأ ثم طاف بالبيت»[6] ، فمضت السنة ، وكذلك فعل أصحابه رضوان الله عليهم[7] وفى الحديث :«إن الله تعالى يباهى بالطائفين»[8] وفى الحديث ايضاً : «وأما طوافك بالبيت فإنك لا تضع قدماً ولا ترفعها إلا كتب الله تعالى لك بها حسنة ، ومحا بها عنك خطيئة ورفعك بها درجة»[9].

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، جـ٤ ، ص ٢٧٢٢ ، مادة (طوف) .

(٢) سورة الحج : أية رقم ٢٩ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، جـ٤ ، ص ٢٧٢٢ ، مادة (طوف) .

(٤) المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص ٢٦٧ .

(٥) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص ١٨٢.

(٦) المحب الطبرى : المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

(٧) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢١.

(٨) ابن الجوزى : مثير العزم ، جـ١ ، ص ٢٩٨ .

- الفاسى : شفاء الغرام ، جـ١ ، ص ١٨٠.

(٩) الفاسى : نفس المصدر ، جـ١ ، ص١٧٥.

وإعداد المَطاف للطائفين فى موسم حج من أعمال السدانة التى ص بها بنو شيبة ، إذ يذكر بعض المكيين أن عبدالله بن الزبير لما الكعبة ، وفرش أرضها من داخلها بقيت من الحجارة بقية . ث بها حول الطواف كما يدور البيت نحواً من عشرة أذرع ، وهذا ش كان موجوداً إلى أيام الفاكهى الذى انفرد بالإشارة إلى قيام جبة بإعداد المطاف للطائفين[1] ، وأنه إذا جاء الحاج فى الموسم الحجبة على تلك الحجارة التى بالمطاف رمل من رمل (كثيب ضغة) الذى بأسفل مكة ، وذلك أن الحجبة يشترون للمطاف مدر ورملاً كثيراً ، فيجعلون الرمل على المدر فى الطواف ، ويرشونه بالماء حتى يتلبد ، ويأخذون بقية ذلك الرمل فيجعلونه في زاوية المسجد التى تلى باب بنى سهم ، فإذا خف ذلك الرمل والمدر ، أعادوه عليه ، ورشوا عليه الماء حتى يأتطى ويتلبد ، فيطوف الناس عليه ، فيكون ألْيَنَ على أقدامهم فى الطواف ، فإذا كان الصيف وحمى ذلك الرمل من شدة الحر ، أمر السدنة غلمان الكعبة (خدم الكعبة) وغُلمان زمزم أن يستقوا من ماء زمزم فى قِرَب ، ثم يحملونها على رقابهم فيرشون به رمل الطواف فيتلبد ويسكن حره . كذلك كان السدنة يأمرون هؤلاء الغلمان فيرشون الصف الأول وخلف المقام كما يدور الصف حول البيت[2] . ليكون ذلك ألين على أقدام الطائفين وجباه الساجدين.

وكان المسجد يحصب فى كل سنة بأربعمائة دينار أو أقل يدفعها الشيبيون[3] .

---

(١) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٣١.
(٢) ——— : نفس المصدر ، جـ١ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢.
(٣) ——— : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ١٢٢.

٢- كراهة السدنة أن يكون حول الكعبة بناء يشرف عليها .

حرص الشيبيون وهم سدنة البَيت الحرام على الحفاظ على هيبة الكعبة المشرفة ، شأنهم فى ذلك شأن سائر المكيين الذين كانوا يكرهون أن يبنوا حول الكعبة بناء يشرف عليها"[1] ، وخاصة عند الصفا والمروة -لكى يبدو لهم البيت[2] .

وتذكر المصادر أن الخليفتين عمر وعثمان رضى الله عنهما كرها أن يبنى أحد فى حرم الكعبة أو أن يكون حول الكعبة بناء يشرف عليها ، ومنعا أن يبني أحد بيتاً فى حرم الله[3] ، وفى حديث عمر : "ليس لهم أن يبنوا حولها ما يشرف عليها"[4] ، أما الشيبيون سدنة الكعبة فيشيرون إلى أن جدهم (شيبة) سادن الكعبة كان يعتنق النهج نفسه ، ويذكرون "أنَّ شيبة بن عثمان كان يشرف ولا يرى بناء يشرف على بناء الكعبة إلا أمر به أن يهدم"[5] ، أما قيس مولى صفوان بن أمية فيقول : "رأيت شيبة بن عثمان إذا رأى بناء مشرفاً على الكعبة هدمه"[6] ، إعظاماً للكعبة[7] وصار هذا المبدأ أو النهج موضع اهتمام الحجبة من بعده ، وبخاصة فى القرنين الأول والثانى من الهجرة[8] .

---

(١) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٣٩.
(٢) ——— : نفس المصدر ، جـ١ ، ص٢٤٠ .
(٣) ——— : نفس المصدر ، جـ١ ، ص٢٣٨ ، ٢٣٩.
(٤) الميمونى : المصدر السابق ، ص ١٣٠.
(٥) الفاكهى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٣٨.
(٦) ——— : نفس المصدر ، جـ١ ، ص٢٣٩.
(٧) الأزرقى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٨٢.
(٨) ——— : نفس المصدر ، والصفحة.

قائمة المصادر والمراجع

(أولاً) : المصادر

(١) القرآن الكريم

(٢) ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٨م) :

- "أسد الغابة فى معرفة الصحابة" ، سبعة أجزاء ، تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرون ، القاهرة ، ١٩٧٠م.

(٣) الأربلى (ت ٧١٧هـ / ١٣١٧م) :

- "خلاصة الذهب المسبوك . مختصر من سير الملوك" ، صححه مكى السيد جاسم ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٦٤م.

(٤) الأزرقى (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٤م) :

- "أخبار مكة ، وما جاء فيها من الآثار" ، جزءان ، تحقيق رشدى صالح ملحس ، دار الأندلس ، مكة المكرمة ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

(٥) ابن اسحق (ت ١٥١ هـ / ٧٦٨م) :

- "كتاب السير والمغازى" ، تحقيق سهيل زكار ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، دمشق ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٦) ابن اسحق الخوارزمى (ت ٤٢٧هـ / ١٣٢٧م) :

- "إثارة الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق" ، جزءان ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة ، السعودية.

(٧) الأسدى (١٠٦٦ هـ / ١٦٥٥م) احمد بن مكى :

- "إخبار الكرام باخبار المسجد الحرام" ، تحقيق غلام مصطفى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.

(٨) الأصفهانى (ت ٣٥٦ هـ/٩٦٧م) :

- "الأغانى" ، إشراف محمد ابو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، جـ١ ، جـ١٥.

(٩) ابن أعثم الكوفى (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م) :

- "الفتوح" ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلميـة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، الجزء الثالث .

(١٠) ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٨م) :

- "رحلة ابن بطوطة المسماه تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ /١٩٦٦م.

(١١) البكرى (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) :

- "جزيرة العرب - من كتاب الممالك والمسالك" ، تحقيق عبدالله يوسف الغنيم ، الكويت ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(١٢) البلاذرى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) :

- "انساب الأشراف" ، الجزء الأول ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩م ، والجزءان : ٢ ، ٩ ، تحقيق سهيل زكار ، الطبعة الأولى ، بيروت .

(١٣) ——— : (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) :

- "فتوح البلدان" ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

(١٤) البيرونى (ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨م) :

- " الجماهر فى معرفة الجواهر " ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

(١٥) البيهقى (٤٥٨ هـ / ١٠٦٥هـ) :

- " دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة " ، ثمانية أجزاء ، تحقيق عبدالمعطى قلعجى ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

(١٦) التجيبى السبتى (ت ٧٣٠ هـ/١٣٢٩م) :

- " مستفاد الرحلة والإغتراب " ، تحقيق عبدالحفيظ منصور ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م.

(١٧) ابن الجوزى (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م):

- "مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن" ، جزءان ، تحقيق مرزوق على إبراهيم ، الطبعة الأولى ، دار الراية ، الرياض ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(١٨) ابن حبان (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م) :

- " السيرة النبوية وأخبار الخلفاء " ، تحقيق السيد عزيز ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

(١٩) ابن حبيب (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م) :

- " المنمق فى أخبار قريش " ، تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٢٠) ابن حبيب (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩م) :

- " المحبر " ، تحقيق ايلزة ليختن شتيتر ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٨٤هـ /١٩٤٢م.

(٢١) ابن حجر (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م) :

- " الإصابة فى تمييز الصحابة " ، اربعة أجزاء ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٨هـ .

(٢٢) ———— (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م) :

- " فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مراجعة قصى الدين الخطيب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

(٢٣) الحربى (ت ٢٨٥هـ /٨٩٨م) :

- " كتاب المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة " ، تحقيق حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

(٢٤) ابن حزم (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م) :

- " جمهرة انساب العرب " ، تحقيق عبدالسلام هارون ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .

(٢٥) ———— (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م) :

- " جوامع السيرة " ، تحقيق احسان عباس ، وناصر الدين الأسد ، دار المعارف بمصر (د.ت).

(٢٦) الحسن بن عمر بن حبيب (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

- " تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه " ، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، الجزء الثانى.

الحلبى (ت ١٠٤٤هـ / ١٦٣٥م):

- إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون، المعروفة بالسيرة الحلبية، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، الجزء الثانى.

حمزة بن الحسن الأصفهانى (توفى قبل سنة ٣٦٠ هـ):

- تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، دار الحياة، بيروت، ١٩٦١م.

(٢٩) الخزاعى (ت ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م):

- كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية"، القاهرة، ١٩٨٠م.

(٣٠) ابن خياط (ت ٢٤٠هـ ٨٥٤م):

- "تاريخ خليفة بن خياط"، تحقيق أكرم العمرى، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

(٣١) ابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦م):

- "الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين"، تحقيق محمد كمال عز الدين، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٣٢) الذهبى (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م):

- "المغازى" تحقيق محمد محمود حمدان، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٣٣) ــــــــ (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م):

- "العبر فى خبر من غبر"، تحقيق محمد السعيد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، الجزء الأول.

(٣٤) ابن رشيد الفهرى السبتى (ت ٧٢١هـ/١٣٢١م):

- "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٣٥) الزمخشرى (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م):

- "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل" فى أربعة أجزاء، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

(٣٦) السخاوى (ت ٩٠٢هـ/١٢٨٦م):

- "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت).

(٣٧) السدوسى (ت ١٩٥هـ / ٨١١ م):

- "حذف من نسب قريش"، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار العروبة، القاهرة، ١٩٦٠م.

(٣٨) ابن سعد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م):

- "الطبقات الكبرى"، دار الفكر العربى، القاهرة، (د.ت)، الجزء الثانى.

(٣٩) ابن سعيد الأندلسى (ت ٦٨٥م/١٢٨٦م):

- "نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب"، جزءان، تحقيق نصرت عبدالرحمن، عمان، الأردن، ١٩٨٢م.

(٤٠) السمعانى (٥٦٢هـ / ١١٦٧م) :

– "الأنساب" ، فى خمسة أجزاء ، تحقيق عبدالله عمر البارودى ، الطبعة الأولى، دار الجنان ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٤١) السهيلى (ت ٥٨١هـ / ١١٨٥م) :

– "الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لإبن هشام" ، تحقيق عبدالرحمن الوكيل ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ /١٩٧٠م ، الجزء الثالث .

(٤٢) ابن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م) :

– "عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير" ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت).

(٤٣) الشوكانى (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) :

– "فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير" ، فى أربعة أجزاء ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

(٤٤) الشيبانى (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م) :

– "شرح كتاب السير الكبير" ، إملاء محمد بن الحسن السرخسى ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، خمسة أجزاء ، مطبوعات معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٧١م.

(٤٥) الصالحى (ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م) :

– "سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد" ، جـ٢ ، تحقيق عبدالعزيز حلمى ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، جـ٤ ، تحقيق إبراهيم الترزى وعبدالكريم العزباوى، القاهرة ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، وجـ٥ ، تحقيق فهيم شلتوت وجودة هلال ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.

(٤٦) ابن الضياء المكى (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) :

– "تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف" ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية.

(٤٧) الطبرى (ت ٣١٠هـ / ٩٢٣م) :

– "تاريخ الرسل والملوك" ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، الجزء الثانى.

(٤٨) الفاسى (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) :

– "شفاء الغرام ، بأخبار البلد الحرام" ، جزءان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٤٩) ——— (ت ٨٣٢هـ /١٤٢٨م) :

– "العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين" ، الطبعة الثانية ، الجزء الأول ، تحقيق محمد حامد النقى ، والأجزاء (٢-٧) تحقيق فؤاد السيد، والجزء الثامن من تحقيق محمود محمد الطناحى ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.

(٥٠) الفسوى (ت٢٧٧ هـ / ٨٩٠م) :

– "كتاب المعرفة والتاريخ" ، فى ثلاثة أجزاء ، تحقيق أكرم العمرى ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م.

(٥١) ابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٥٩م) :

- " مسالك الأبصار " الجزء الأول ، تحقيق احمد زكى باشا ، القاهرة ، ١٣٤٢هـ/١٩١٤م.

(٥٢) ابن الفقيه الهمذانى (ت ٢٩٠هـ /٩٠٢م) :

- " البلدان " ، تحقيق يوسف الهادى ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان.

(٥٣) ابن فهد (ت ٨٨٥هـ /١٤٨٠م) :

- " اتحاف الورى بأخبار ام القرى " ، تحقيق فهيم شلتوت ، مركز البحث العلمى والتراث الإسلامى بجامعة أم القرى " ، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، الجزءان : الأول والثانى .

(٥٤) القلقشندى (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) :

- "صبح الأعشى فى صناعة الإنشا " ، المؤسسة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩١٣-١٩١٧م ، الجزء الرابع.

(٥٥) ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م) :

- "زاد المعاد فى هدى خير العباد " ، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، الطبعة الثالثة عشر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، الجزء الثالث .

(٥٦) ابن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م) :

- " تفسير القرآن العظيم " ، فى اربعة أجزاء ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٥٧) ———(ت ٧٧٤هـ /١٣٧٣م) :

- " السيرة النبوية " ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م.

(٥٨) ——— " البداية والنهاية " ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، الأجزاء: ٢-٨ .

(٥٩) ابن الكلبى (ت ٢٠٤هـ /٨١٩م) :

- " جمهرة النسب " ، تحقيق ناجى حسن ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٦م.

(٦٠) ——— " الأصنام " ، تحقيق أحمد زكى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٥م.

(٦١) ابن عبدالقادر الطبرى (ت ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م) :

- " الأرج المسكى فى التاريخ المكى، وتراجم الملوك والخلفاء " ، المكتبة التجارية، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية.

(٦٢) العبدرى (كان حياً سنة ٦٩٩هـ /١٣٠٠م) :

- " رحلة العبدرى المسماه الرحلة المغربية ، تحقيق محمد الناسى ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م".

(٦٣) ابن عبدربه (ت ٣٢٨هـ / ٩٤٠م) :

- " العقد الفريد " ، تحقيق عبدالمجيد الترحينى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، الجزء السابع.

(٦٤) عبدالعزيز بن فهد (ت ٩٢٢هـ / ١٥١٦م) :

- " غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام " ، تحقيق فهيم شلتوت، الطبعة الأولى ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، الجزء الأول .

(٦٥) أبو عبيد بن سلام (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م) :

- " الأموال " ، تحقيق محمد خليل هراس ، الطبعة الثانية ، دار

الفكر ، بيروت ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٦) ——— (ت٢٢٤هـ/٨٢٨م) :

- "كتاب النسب" ، تحقيق مريم محمد خير الدرع ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٦٧) ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) :

- "شذرات الذهب فى اخبار من ذهب" ، ٨ اجزاء ، دار احياء التراث العربى ، بيروت .

٦٨) ابن العمرانى (ت ٥٨٠هـ / ١١٨٤م) :

- "الإنباء فى تاريخ الخلفاء" ، تحقيق قاسم السامرائى ، الطبعة الثانية ، دار العلوم للنشر ، الرياض ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٦٩) مالك بن انس (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م) :

- "المدونة الكبرى" ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ ، الجزء الثانى.

(٧٠) مجهول (كاتب مراكشى) :

- "كتاب الإستبصار فى عجائب الأبصار" ، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨٥م.

(٧١) المحب الطبرى (٦٩٤هـ / ١٢٩٥م) :

- "القرى لقاصد أم القرى" ، تحقيق مصطفى السقا ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م.

(٧٢) المزى (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١م) :

- "تهذيب الكمال فى أسماء الرجال" ، تحقيق بشار عواد معروف ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، الجزء ١٢.

(٧٣) مسكويه (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) :

- "تجارب الأمم" ، نشر آمدروز ، مطبعة التمدن ، القاهرة ، ١٩١٤-١٩١٥م ، المجلد الأول .

(٧٤) المصعب الزبيرى (ت ٢٣٦هـ/٨٥١م) :

- "نسب قريش" ، الطبعة الثالثة ، تحقيق ليفى بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢م.

(٧٥) مُغَلْطاى (ت ٧٦٢هـ / ١٣٦١م) :

- "الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا" ، الدار الشامية ، بيروت ، لبنان.

(٧٦) المقريزى (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) :

- "امتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع". الجزء الأول ، تحقيق محمد النميسى، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٧٧) ———: "الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك" ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٥٥م.

) ابن عيسى الميمونى (ت ١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م) :

- "تهنئة أهل الإسلام بتجديد بيت الله الحرام" ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية.

(٧٩) ابن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣٢١م) :

- "لسان العرب المحيط" ، فى ستة أجزاء ، تحقيق عبدالله على الكبير وآخران ، دار المعارف بمصر ، (د.ت) .

(٨٠) ناصر خسرو (٤٨١هـ /١٠٨٨م) :

- "سفر نامة" ، ترجمة أحمد البدلى ، الطبعة الأولى ، جامعة الملك سعود ، الرياض . ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م.

(٨١) النهروانى (ت ٩٩٠هـ ١٥٨٢م) :

- "كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام" ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية.

(٨٢) النويرى (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) :

- "نهاية الأرب فى فنون الأدب" ، جـ٢١ ، على محمد البجاوى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والترجمة والنشر، القاهرة ،١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

(٨٣) ابن هشام (ت ٢١٨هـ/٨٣٣م) :

- "السيرة النبوية" ، أربعة أجزاء ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، (د.ت) .

(٨٤) الواقدى (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م) :

- "المغازى" ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق مارسدن جونس ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٦٥م.

(٨٥) ياقوت (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) :

- "معجم البلدان" ، خمسة أجزاء ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(ثانياً) : المراجع

(١) إبراهيم رفعت باشا :

- "مرآة الحرمين" ، جزءان ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان (د.ت).

(٢) أحمد الرشيدى :

- "حسن الصفا والأبتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج" ، تحقيق ليلى عبداللطيف ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨٠م.

(٣) أحمد عبدالغفور عطار :

- "الكعبة والكسوة منذ أربعة الاف سنة حتى اليوم" ، الطبعة الأولى، مكة المكرمة ، ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م.

(٤) الألوسى (محمود شكرى) :

- "بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب" ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، الجزء الأول .

(٥) جواد على :

- "المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام" ، فى عشرة أجزاء ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨٠م.

(٦) الدهلوى (عبدالستار) :

- "السلسلة الذهبية فى الشجرة الشيبية" ، مخطوط بمكتبة الحرم المكى الشريف ، رقم ٢٤٠٥.

(٧) راشد سعد القحطانى :

- "أوقاف السلطان الأشرف شعبان" ، الطبعة الأولى ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، السعودية ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م.

(٨) الزهرانى : ضيف الله

- "نفقات عمارة الكعبة المشرفة فى صدر الإسلام حتى نهاية العصر العثمانى" ، مقال بمجلة (بحوث تاريخية) ، الجمعية التاريخية السعودية ، الرياض ، ١٤٠٩هـ ، ١٤٠٩هـ.

(٩) السلومى (عبدالعزيز عبدالله) :

- "ديوان الجند ، نشأته وتطوره فى الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون" ، الطبعة الأولى ، مكتبة الطالب ، مكة المكرمة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(١٠) السيد محمد الدقن :

- "كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ" ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.

(١١) شاكر مصطفى :

- "دولة بنى العباس" ، الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٩٧٣م ، الجزء الأول.

(١٢) الشريف (أحمد إبراهيم) :

- "مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول ﷺ" ، الطبعة الأولى، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦٥م.

(١٢) صالح أحمد العلى :

- "محاضرات فى تاريخ العرب قبل الإسلام" ، الطبعة السادسة، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٦٠م ، الجزء الأول .

(١٤) ـــــــ "الدولة فى عهد الرسول ﷺ" ، مطبعة المجمع العلمى العراقى، بغداد ، ١٩٨٨م ، الجزء الأول .

(١٥) صبحى عبدالمنعم :

- "العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين" ، مؤسسة العربى للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

(١٦) طرجان يلماز :

- "أقفال ومفاتيح الكعبة المشرفة عبر مختلف العصور الإسلامية" ، مقال بمجلة البنك الأهلى التجارى السعودى ، جدة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(١٧) عبدالحى الكتانى :

- "نظام الحكومة النبوية" "المسمى التراتيب الإدارية" ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، الجزء الأول .

(١٨) عواد (محمود أحمد سليمان) :

- "الجيش والقتال فى صدر الإسلام ، الطبعة الأولى ، مكتبة المنار، الزرقاء ، الأردن ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

( ) فاروق عمر فوزي :

الرايات والألوية وشعارات الحرب عند العرب فى صدر الإسلام"، موسوعة الجيش والسلاح ، بغداد ، ١٩٨٨م ، الجزء الرابع.

( ) ـــــــــــــ : " بحوث فى التاريخ العباسى" ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة، بغداد ، ١٩٧٣م.

(٢١) محمد مبروك نافع :

- " تاريخ العرب ، عصر ما قبل الإسلام" ، الطبعة الثانية ، مكتبة السعادة ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.